



مجلّة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ

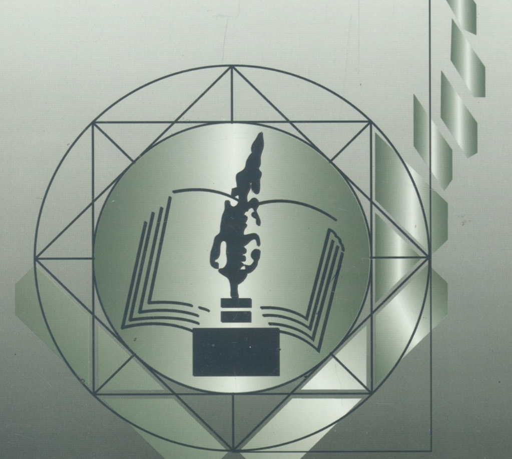
العدد (٢٣٤+٢٣٥) المجلد الثاني والعشرون (٣+٤)
أيار/مايو - تموز/يوليو ٢٠٠٧

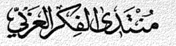
عدد ممتاز مزدوج

٢٣٤
و
٢٣٥

في هذا العـدد

الحسن بن طلال





منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقرًّا لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهامًا فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة؛ وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية؛ ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية؛ وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضرًا ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الإستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشىء من أجلها.
٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.
٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.

منتدى الفكر العربيّ
ص ب: ٩٢٥٤١٨
عمّان ١١١٩٠ - الأردن
تلفون: ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ (٦-٩٦٢+)
ناسوخ (فاكس): ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

Arab Thought Forum
P.O.Box : 925418
Amman - 11190 Jordan
Tel : (+962-6) 5333261/5333617
Fax : (+962-6) 5331197

E-mail : mai@atf.org.jo
URL : www.atf.org.jo

سعر النسخة : أربعة دنانير (ستّة دولارات أمريكيّة)



Al Muntada المنتدى

A Bimonthly Cultural Magazine
Published by the Arab Thought Forum (ATF)
Amman - Jordan

مجلة فكرية ثقافية يصدرها مرة كل شهرين
منتدى الفكر العربي
عمان - الأردن

العدد (٢٣٤+٢٣٥)

المجلد الثاني والعشرون (٣+٤) أيار / مايو - تموز / يوليو ٢٠٠٧

هيئة التّحرير

إرشادات عامة لكُتّاب المجلّة

* يشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
* يرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
* يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر إلى أية جهة أخرى.
* يُرجى من الكتّاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس).
* يُقلل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.
* يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عنايةً خاصّة.
* تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدم إن رأت ذلك ضروريًا.
* تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.

*الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى الفكر العربيّ

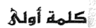
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (١٣/٢٠٠٣/د)

صفحة ٥٨





صفحة ٦٠



كلمة أولى

أ. د. هُمام غَصيب
رئيس التّحرير

بعْد بَياتٍ نسبيّ، نُعاوِدُ نَشاطَنا الفكريّ بهمّةٍ وحماسة.

ففي الأسبوع الأوّلِ من شهر تشرين الثّاني/ نوفمبر ٢٠٠٧، نَعقدُ في عمّان مؤتمرَنا الأوّل عن «المرأة العربيّة: آفاق المستقبل». وهذا حَدَثٌ بارزٌ في مسيرةِ المنتدى، نأمُلُ أنْ يأتيَ بشيءٍ جديدٍ مُثمر.

وفي الأيّام الأُولى من شهر شباط/فبراير ٢٠٠٨، سنعقدُ في مقرِّ المنتدى مؤتمرًا دوليًّا حول «العوْلمة، والاصلاحات الاقتصاديّة، والمعونات والدّيمقراطيّة في العالَم العربيّ»، بالتّعاون مَعَ جهاتٍ أكاديميّةٍ مرموقةٍ في بريطانيا. وهي تجربةٌ جديدةٌ لنا في التّشبيك الفكريّ.

يَتْبَعُ ذلك بعد شَهْرٍ من الزّمان أو أكثرَ قليلاً مؤتمرُنا الشّبابيّ الثّالث بعنوان «نحو تطوير مؤسّسات العمل الشّبابيّ العربيّ». وقد عملنا على برنامَجِهِ الأوّليّ بجِدٍّ ومثابرة منذ شهورٍ وشهور.

أمّا ندوتُنا الفكريّةُ السّنويّة، فستكونُ بعنوان «المواطَنة في الوطن العربيّ». وستُعقد مَعَ اجتماعاتنا الموازية (للجنة الإدارة ومجلسِ الأمناء والهيئةِ العموميّة) في المملكة المغربيّة.

وهنالك المزيدُ من الأطايب، بإذنِه تعالى. ■

المحتويات


صفحة ٦٠

رأي للمناقشة

اللقاءات الشهرية

جولـة العـدد

كلمة أخيرة

إعلان الأمانة

«نشرة» المنتدى قبل (عشرين +) عامًا

المنتدى

نشرة شهرية تصدر عن منتدى الفكر العربي

العدد العاشر السنة الأولى تموز/يوليو ١٩٨٦

المحتويات

منتدى الفكر العربي
الرئيس: سمو الأمير حسن بن طلال
الأمين العام: الدكتور سعد الدين ابراهيم
المحرر: الدكتور فهد الفانك

ARAB THOUGHT FORUM
Chairman: H.R.H. Crown Prince Hassan
Secretary General: Dr. Saad Eddin Ibrahim
Editor in Chief: Dr. Fahd Fanek

ص.ب ٩٢٥٤١٨ تلفون ٦٧٨٧٠٧ تلكس ٢٣٦٤٩ عمان / الأردن
P.O. Box 925418, Tel. 678707/8 Tlx. 23649 ATF 80 Amman - Jordan

• أنظر أيضًا (ص ١٠٨-١٠٩) من هذا العدد من **المنتدى**.

-١-

ذاهب إلى سان بطرسبرْغ*

الحسن بن طلال

نعم؛ ولِمَ بطرسبرغ أو لينينغراد، كما كانت تُسمّى إلى عهد قريب؟ بطرسبرغ مدينة بطرس الأكبر، الشرقي الغربي والغربي الشرقي! المدينة الصامدة التي تذكرنا بالسمفونية السابعة لشستاكوفيتش، بضرباتها المتتالية الشبيهة بضربات السيمفونية الخامسة، سمفونية القدر، لبتهوفن.

لِمَ بطرسبرغ، إذًا؟ لأن مؤسسة التسامح الدولية لبحوث الإنسانيات تعقد هذه الأيام مؤتمرًا دوليًا في تلك المدينة التاريخية المتألقة حول «**تفاعل الثقافات والحضارات: حوار أم صراع؟**» دعونا ننسى كم هو مألوف هذا العنوان، وكم سُطّر حوله من مقالات وأطروحات. ولنركّز على الإيحاءات والتداعيات العميقة للموضوع.

لكم جنيْنا على ذلك المفهوم الدافئ العذب، **التسامح**، الذي يحمل دلالات مختلفة في اللغات والثقافات المختلفة. فهل التسامح بالعربية، مثلاً، يعني الشيء نفسه بالروسية؟ الجواب بكل بساطة لا؛ لأن التسامح بالعربية يعني تقبّل الآخر إلى حد التعايش معه؛ في حين أنه يعني بالروسية الفهم المتبادل. أما بالنسبة لكاتب هذه السطور فهو يعني، إضافة إلى سائر الدلالات المعروفة، التحمّل: تحمّل الآخر وتحمّل العناء والعنت، وحتى العدالة؛ لأن العدالة قد تكون صارمة أحيانًا إلى حد القسوة. نريد تسامحًا ثوريًا، إن جاز التعبير، وتسامحًا فاعلاً يسعى إلى ردم الفجوة بين الذين يملكون والذين لا يملكون؛ تسامحًا ينأى عن التخاذل ويحشد القوى والطاقات من أجل عالم أفضل.

ولعل بطرسبرغ هي المدينة المثالية لتجسيد قيم الحوار الندّيّ وقيم التعايش والاحترام المتبادل؛ مثلها مثل اسطنبول التي يصبح فيها الشرق غربًا والغرب شرقًا. فكلتاهما تشع إشراقًا؛ إشراقًا يتجاوز الحوار إلى التلاقي،

* نُشرت في جريدة **الأهرام** المصريّة بتاريخ ٢٤/٥/ ٢٠٠٧، ص ١٠؛ وفي جريدة **الدّستور** الأردنيّة بتاريخ ٢٥/٥/٢٠٠٧، ص٦.

والاتصال إلى التواصل. وهذا ما أعنيه حين أشير دومًا إلى أنسنة العولمة، وأنسنة الإنترنت، وأنسنة السياسة والعلم والتكنولوجيا.

وما دمنا في رحاب روسيا، فإنه يحقّ لنا أن نتمرد على مفهوم **الاحتواء** الذي برز – أوّل ما برز – في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حين أخذت رياح الحرب الباردة تهبّ شيئًا فشيئًا. في ذهني الآن تلك «البرقية الطويلة» التي خطها الدبلوماسي الأمريكي **جورج كينان**. لقد طُبّق هذا المفهوم على الاتحاد السوفييتي [السابق]، وكان الركن الأساسي في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء «إمبراطورية الشر».

لكن يبدو أن أقوياء هذا العالم لا يتعلمون من التاريخ؛ إذ إن هذا المفهوم الذي خِلناه من مخلفات الحرب الباردة أمسى الأساس في السياسات حيال الصين، وكوريا الشمالية، وإيران، وسورية، وهلمّ جرّا! تصوروا: هذا في مقتبل الألفية الثالثة التي استنهضت فينا الأحلام الكبيرة والآمال العريضة.

المشكلة لا تكمن في حرب باردة جديدة؛ وإنما في حرب ساخنة محتملة. فماذا حدث لتعددية الأطراف الحقّة؟ أين الأخلاقيات التي تنظر إلى الإنسان ما وراء أنابيب النفط والغاز؟ أمحتّم علينا أن نكون أكباش الفداء في صراعات الأقوياء، وأن نكتوي بسياسات اليأس واقتصادياته؟ ألا يوجد بعد كل هذه المعاناة سوى الهيمنة والسيطرة والغطرسة؟

إن سياسة الاحتواء هذه هي جزء من مفهوم الهيمنة الذي عصف ويعصف عصفًا بالإطار التعددي للنظام الدولي الذي نجم بعيْد سنة ١٩٤٥. وعلينا أن لا نكتفي بشجب هذه السياسة، بل أن نتحرك إيجابيًا من أجل تعزيز القواسم المشتركة الإقليمية أوّلاً؛ عسى أن تمتد لتصبح قواسم مشتركة عالمية. وهذا يعني بدوره العمل على الحلول **فوق القطرية** لمشكلاتنا المتأصلة المتعلقة بالمياه والطاقة والتصحر والفقر، إلى آخر السلسلة. كما يعني السعي نحو ثقافة **الانضواء** تحت خيمة القوانين والنواميس الدولية التي تسري على الجميع **من دون استثناء**. ولا ننسى أيضًا العمل على وضع **قانون سلام عالمي** ملزم للأطراف كافة، وترسيخ مفهوم إدارة الحكم الرشيد الأخلاقي.

لقد تحوّل «**الستار الحديدي**»، الذي كان يفصل بين قوتين عظميين، إلى «**ستار ذهبي**». وهذا الأخير هو عنوان كتاب صغير الحجم غني المحتوى، وضعه الباحث والسياسي البرازيلي البارز **كريستوفام بوارك** عام

١٩٩٥، وتُرجم إلى **الإنكليزية مؤخرًا**. [العنوان الكامل: **الستار الذهبي**: صدَمات نهاية القرن العشرين، وحُلم للقرن الحادي والعشرين.] الستار الذهبي هذا لا يفصل بين الدول ولا بين الأنظمة السياسية أو الأيديولوجية؛ وإنما يفصل بين الذين يملكون المعرفة والتكنولوجيا لتحويل الطبيعة إلى ثراء مادي وثقافي وبين أولئك المحرومين من هذه المزايا. الستار الذهبي هذا أكثر حدة ومضاضة حتى من الستار الحديدي، لأنه يفصل بين الشعوب وحتى بين المجتمعات داخل القطر نفسه؛ فهو يزيد أكثر فأكثر ذلك النقص الخطير في الكرامة الإنسانية الذي يجتاح عالمنا اليوم.

إننا نجد أنفسنا اليوم عند مفترق طرق: بين مستقبل «الحداثة التقنية» أو «الحداثة الأخلاقية»، بتعبير صاحب هذا الكتاب. ولا أشك لحظة واحدة في أن مفتاح أي نظام إنساني عالمي إنما هو الأخلاق والأخلاقيات التي من شأنها أن تعزز التضامن الإنساني وأن تدعم استقلالنا المتكافل.

إن زيارتي هذه لبطرسبرغ تجعلني أنادي من جديد بتفعيل الأصوات الخافتة وتمكينها في كل الجهات المستضعفة من عالمنا. وقد ركزت مؤخرًا، في سلسلة من اللقاءات والملتقيات، على الأصوات الجديدة التي تهب من غرب آسيا. وهي محاولات تهدف إلى بناء مجتمع إقليمي يمتلك القدرة على التصدي لمشكلات المنطقة ضمن إطار متعدد الأطراف؛ كما تهدف إلى تمكين المجتمع المدني الإقليمي من التعبير عن حاجات المواطن ومن تفعيل المواطنة عمومًا. وكان آخر تلك الملتقيات ذلك الذي عُقد في إسلام أباد في شهر شباط / فبراير الماضي. وقد ركز ذلك الملتقى على كيفية فتح قنوات الاتصال والتواصل من أجل بناء مفهوم «غرب آسيا / شمال إفريقيا»؛ وعلى إنشاء وسائل مؤثرة لاستحداث سيرورة للأمن والتعاون في المنطقة؛ وعلى تمكين الذين لا حول لهم ولا قوة. ولم تكن هذه الأهداف مجرد شعارات جوفاء أو تمنيات وردية؛ وإنما كانت مقرونة بأدوات عملية مقترحة لمواجهة التحديات؛ وعلى وجه التحديد: تأسيس صندوق تضامن؛ ووضع ميثاق اجتماعي؛ وإنشاء مجتمع الطاقة والمياه والبيئة الإنسانية. وهذه فرصة لكي أحث مرة أخرى على التفكير باستراتيجية للاتصال والتواصل ولتسويق قضايانا، إن جاز التعبير. وللحديث صلة، بل صلات.

هذه هي رسالتي من بطرسبرغ الجميلة؛ مع محبتي. ■

-٢-
عائــد مــن الســويــد*

الحسن بن طلال

نادرًا ما تُسمع لغة التعايش في هذه الأزمنة المضطربة. وقد عبّرَتْ عن هذه اللغة جيدًا تلك الأهداف الخمسة لمبادرة التعايش التي اعتمدها في العام الماضي مجلس الدول الإسكندنافية. وقد تشرّفت بمخاطبة هذا المجلس في تلك المناسبة. والآن، إذ أزور السويد، فإنّني أتذكر ثانية مساهمة إسكندنافيا في بناء السلام والحوار. وتمثل الأهداف، التي تنص على إنهاء الأجندة الأمنية والترويج للحوار بين الشعوب، استراتيجية اتصال وتواصل من أجل دبلوماسية عامة بين بلدان منطقتنا ومع المجتمع الدولي، على حدٍّ سواء.

إن إنهاء الأجندة الأمنية لا يعني نهاية الحرب ضد الإجرام والعدمية والصراع الطائفي. وفي كل الأحوال، فإن تحقيق سلام يحفظ الكرامة يملي على الأمن الصُّلب معالجة نقص الثقة الذي تراكم بين الشعوب.

لقد تأثرت بموافقة السويد على تقديم ملاذ لنحو تسعة آلاف لاجىء عراقي. وهذه أكبر عملية استيعاب قامت بها دولة أوروبية للفارين من جنون الصراع الجاري. كما أبدت السويد كرما بمساهمتها الثقافية في دعم حقوق الإنسان الأساسية. فكثير من الأكاديميين هنا يوافقون على أن قانونًا للسلم قد استحق منذ مدة. ولا بد أن تكون الفقرة الرابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التي تدعو إلى عدم التدخل في وحدة أراضي أي دولة أو استقلالها السياسي، أو بأي طريقة لا تتفق مع أهداف الأمم المتحدة، معياراً عامًّا يُطبق على الجميع.

لم يكن الهدف من زيارتي للسويد، التي تضمنت المشاركة في افتتاح مركز دراسات الشرق أوسطيّة في جامعة لوند، التركيز على دور اللغة والدين والتفاهم المشترك فقط، وإنما أيضًا الترويج لاقتراحات عملية

* نُشرت في جريدة الأهرام المصريّة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١١، وفي جريدة الدّستور الأردنيّة بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١٢.

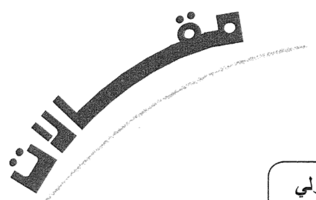
للحوار. فمن الواجب تطوير استراتيجية للاتصال والتواصل من خلال وسائل الاتصال المطبوعة والإذاعة والتلفزيون، بحيث تتيح تفاعلا حقيقيا بين الشعوب. عندئذ فقط يمكننا الحديث عن كسب حروب وبناء سلام دائم.

إن للسويد تاريخا مشرفا في الجهود الدولية لحفظ السلام. فقد أسس السويديون منظماتٍ للمجتمع المدني، مثلما ساهموا فيها بنكران للذات؛ منظمات مهتمة بطيْف من القضايا يمتد من تخفيف الفقر حتى المشورات الخاصة بالصدمات العاطفية التي يعاني منها الأطفال والبالغون في الأوضاع التي تلي النزاعات.

وتتضمن الآثار البعيدة المدى للنزوح الناتج عن الصراعات مخاطرَ متزايدة لانتشار الفقر الناجم عن فقد الأرض والإرث وحقوق قانونية أخرى، مثل الحجز والتمييز وعدم القدرة على مواصلة الدراسة.

إن الحاجة إلى منبر إنساني للعمل لم تكن ملحة مثلما هي الآن. وعلينا أيضا أن نؤسس منبرا يمكِّن أولئك الذين لم يصبحوا أوروبيين تماما ولم يعودوا آسيويين من التعبير عن هويتهم. فقد حان الأوان للعودة إلى تقليد دبلوماسي للتواصل الإنساني والحدب على الآخر.

أشعر بالامتنان لزيارتي إسكندنافيا في مثل هذا الوقت من الضيق الشديد بالحرب والسلم في الشرق الأوسط وفي العالم. لنأمل أن نكون أكثر نجاحا في خلق شراكة من أجل السلام مما كنا في تحالف ضد الإرهاب. إننا نحتاج إلى نضال من أجل الكرامة الإنسانية يهدف إلى كسب العقول والقلوب. ولتحقيق سلام حقيقي، فإن بإمكاننا الاستفادة من خبرة إسكندنافيا ونواياها الطيبة. ■


مقالات

الإرهاب الاقتصادي الدولي وتهديدات الأمن الاقتصادي العالمي

د. حميد الجميلي*

يعاني الاقتصاد العالمي اليوم من مشكلات اقتصادية متجذرة في هيكل النظام الاقتصادي العالمي ومؤسساته، ما يلحق أفدح الأضرار بالأمن الاقتصادي العالمي، ويعرضه لشتى أنواع الإرهاب الاقتصادي الدولي. فالاقتصاد الدولي يشهد اليوم موجة هبوط عام في معدلات النمو، وزيادة كبيرة في معدلات البطالة، وبطء نمو الموارد المالية اللازمة لتنمية البلدان النامية، والفقر المطلق، وتذبذب أسعار الصرف، وانخفاض أسعار السلع الأساسية، وانتشار مساوىء العولمة الاقتصادية والبعد اللا إنساني لها؛ وكلها أشكال جديدة من الإرهاب الاقتصادي الدولي الذي تمارسه مراكز الرأسمالية العالمية.

ما يزيد من حالات الإرهاب الاقتصادي الدولي أن هنالك شكوكًا متزايدة بشأن توافر الإرادة والقدرة لدى الدول المتقدمة والمؤسسات المالية الدولية على تحقيق توازن بين احتياجات الحاضر والمستقبل عن طريق توفير الأمن الكافي للنظام الاقتصادي العالمي، وإدارته إدارة اقتصادية عادلة. ويسود شعور بأن البيئة الاقتصادية الدولية آخذة في التدهور، فضلاً عن عدم الارتياح إزاء ما سيورث للأجيال المقبلة بسبب موجة العولمة والأزمات الاقتصادية التي تحدث بصفة دورية وتخلف الدمار، كما حدث في جنوب شرق آسيا ويحدث الآن في أمريكا اللاتينية.

لقد ساعدت العولمة المالية، وإزالة نظم الرقابة الحكومية على حركة الاستثمارات الأجنبية وتحويلها من سوق مالية إلى سوق أخرى عبر الأزرار الإلكترونية، على إضافة مصدر جديد من مصادر الإرهاب الاقتصادي الدولي الذي يعرض الأمن الاقتصادي العالمي لمخاطر عظيمة.

تُمثِّل التغيرات المتكررة في أسعار الفائدة مصدرًا إضافيًا من مصادر الإرهاب الاقتصادي الدولي. فلقد أصبحت هذه الأسعار أكثر تقلبًا في السنوات الأخيرة، فأثرت على عدد متزايد من البلدان، وبوجه خاص البلدان النامية المدينة، كما أن الوصول إلى أسواق الائتمان بات مقيدًا ومبنيًا على أسس سياسية. ويشكل عدم الاستقرار في أسعار السلع الأساسية مصدرًا مهمًا من مصادر الإرهاب الاقتصادي الدولي، خاصة أن عددًا كبيرًا من البلدان النامية تعتمد في حصائلها أساسًا على صادرات واحدة أو مجموعة

* أستاذ الاقتصاد في أكاديمية الدراسات العليا / طرابلس-ليبيا؛ عضو المنتدى.

قليلة من السلـع الأساسية. وأسعار السلـع الأساسية ليست منخفضة ومتدنية لفـترة طويلة فحسب، لكنها تخضع أيضًـا لتقلبـات واسعة تُعرِّض أمـن البلدان النامية المصدرة لهذه السلع لمخاطر كبيرة.

لذلك تعـددت أشـكل الإرهاب الاقتصـادي الدولي في ظل العولـمة، وأخذ هذا الإرهـاب شكل الوسائل الاقتصاديـة القسريـة في العلاقـات الاقتصاديـة الدولية. فالتفـرد في القـرار الاقتصـادي الكـوني هو نـوع مـن الإرهـاب الاقتصـادي في الاقتصاد العالمي. والهيمنة علـى صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وفرض برامجهما المسماة «برامج الإصلاح والتصحيـح الاقتصـادي» هـي نوع مـن الإرهاب الاقتصادي الدولي. وتدويل الأزمات ونشر عدواها بسرعـة الأزرار الكهربائية هو نـوع من الإرهاب الاقتصـادي الدولي. وإلغاء نظـم الرقابة الحكومية وتقليص سلطات الدولـة الاقتصادية ونقل مقومات سيادتهـا إلى المنظمـات الدولية ومراكـز الرأسمالية المتقدمة هو نوع من الإرهـاب الاقتصادي الدولي. والهيمنة علـى التجـارة الدولية والنظـام التجاري العالمي الجديد من خلال منظمـة التجارة العالمية هي نوع مـن الإرهـاب الاقتصادي الـدولي. والهيمنة على الشـركات متعـددة الجنسية من جانـب القوى الاقتصادية العالمية هي نوع من الإرهاب الاقتصادي العالمي. والهيمنـة على تدفقات الاستثمـار الأجنبي المباشر الصـادر والـوارد عالميًا مـن جانب مراكز الرأسمالية النقدية هي نوع من الإرهاب الاقتصادي الدولي. والهيمنة على حركة رأس المال العالمي وعلى حركة بورصات المال العالمية وأسواقه من جانب هذه المراكز هي نـوع من الإرهاب الاقتصادي الدولي.

وفرض نمـاذج التحررية الاقتصاديـة ذات الأبعاد الأيديولوجية مـن جانب المنظمات الدولية هو الآخر نوع مـن الإرهاب الاقتصادي الـدولي. وتقويض مبدأ التعاون الاقتصادي المتعدد الأطراف من جانب مراكـز الرأسماليـة العالميـة هو نوع مـن الإرهاب الاقتصادي العالمي. وتهميش دول الجنوب ودمجها في الاقتصـاد العالمي من موقـع متخلف هو نوع من الإرهـاب الاقتصـادي في العلاقـات الاقتصاديـة الدوليـة. وفرضـ القوانـين التجاريـة لدولة ما في التجـارة الدولية هو نوع مـن الإرهاب الاقتصادي العالمي. وفتح الأسواق العالمية عنوة أمام سلع مراكز الرأسماليـة العالمية وخدماتهـا واستثماراتها هو نوع من الإرهـاب الاقتصادي العالـمي. وشن الحروب التجارية على دول العـالم، حتى على الدول النامية والـدول الفقيرة، هو نوع من الإرهاب الاقتصادي العالمي. وخلق عـدو مفترض في دول العالم النامي هو نوع من الإرهاب الاقتصادي العالمي. وتقليص مساحـة القطاع العـام وفرض نمـاذج الخصخصة بالقوة هو نوع مـن الإرهاب الاقتصـادي العالمي. والإدارة الشديـدة المركزيـة للاقتصـاد العالمـي من جانـب شركات مراكز الرأسمالية العالمية والمنظمات الدولية التي تسيطر عليها تلك المراكز الرأسمالية هي نوع مـن الإرهاب الاقتصادي العالمي. والهيمنة على ثـروات الشعـوب ومواردها هو نوع مـن الإرهاب الاقتصـادي العالـمي. والهيمنة على مدخـرات العالم النامـي هي نوع مـن الإرهاب الاقتصـادي العالمي. والهيمنـة على أكبر خمس شـركات متعددة الجنسية، من مجموع ٦٠٠٠٠ شركة متعددة الجنسية في العالم، هي نوع من الإرهاب الاقتصادي العالمي. وتعريض

الاقتصـاد العالمـي لأزمـات متلاحقـة هـو نـوع من الإرهاب الاقتصادي العالمـي. وجر الاقتصاد العالمي إلى هاويـة الركـود والكسـاد هو نوع مـن الإرهاب الاقتصـادي العالمـي. وخلـق الأزمـات الاقتصادية في دول العـالم النامي، مثل أزمة جنـوب شرق آسيا وأزمة الأرجنتين الاقتصادية، هو نوع من الإرهاب الاقتصـادي العالمـي. وسياسـة اللامبـالاة واعتمـاد المستهلك الأمريكي على القروض المصرفية وبطاقات الائتمـان وعيشـة حياة الـترف والبذخ علـى حساب مدخـرات العالم هي نـوع من الإرهـاب الأمريكي. وإجبـار دول العالم على تغيير وإعادة هيكلة سياساتها واقتصادها هـو نوع من الإرهـاب الاقتصادي الذي تمارسه المؤسسات الاقتصاديـة العالمية. وقيام مراكز الرأسمالية العالمية بتعطيل المدونات والصكوك الدولية -كصك بنـاء الثقة في العلاقـات الاقتصادية الدولية، وصك ميثـاق حقوق الدول وواجباتهـا الاقتصادية، وصـك تحقيـق الأمـن الاقتصـادي العالمـي، وصك المدونـة الدولية لسلـوك الشركات متعـددة الجنسية، وصك أساليب نقل التكنولوجيا إلى الدول النامية - هو نوع من الإرهـاب في الاقتصاد العالمي وفي العلاقات الاقتصادية الدولية.

وفي مجـال الإرهـاب التكنولوجـي، ينجـم عـن التكنولوجيـا السريعـة التطـور والتغـير أيضًا عدم إمكانيـة التنبؤ. فالتطـور التكنولوجـي في بلد معين يمكـن أن يحدث تغيـيرا فوريًـا في الميـزة النسبية. وهنالـك نقص كبـير في مدى وضـوح عملية التقدم التكنولوجي. فكلما كانت وتيرة التغير سريعة، كلما توسع المدى الجغرافي للتقـدم التكنولوجي، وزادت احتمالات عـدم الاستقرار، وهو نوع من الإرهاب الاقتصادي الدولي.

أمـا تفاقـم المديونية الخارجيـة للـدول النامية، التي تتراوح بين ٣-٣,٥ تريليون دولار، فإنه من أبشع أنـواع الإرهـاب الاقتصـادي. وما عمـق من هذا الإرهاب سياسات صندوق النقد الدولي التي لم تساعد الـدول النامية علـى إيجاد حلول طويلـة الأمد لهذه الإشكالية. فمديونية إفريقيـا وأمريكا اللاتينية وآسيا كلها تبتلـع الجزء الأكبر من النـاتج المحلي الإجمالي لهـذه المجموعات الدولية. فالاقتصـاد الأرجنتيني، مثلاً، يواجـه ديونًا تزيد علـى ١٣٠ مليار دولار، وهـي تمثل أكثر من نصف النـاتج المحلي الإجمالي. ولم ينقـذ القرض الذي قدمه صنـدوق النقد الدولي في كانـون الأول / ديسمـبر ٢٠٠١، البالـغ قيمتـه نحـو ٣٩,٧ مليـار دولار، اقتصـاد الأرجنتين من التدهـور. وهذا مـا حدث ومازال يحـدث في دول إفريقيـة وآسيوية تعاني من أزمـات اقتصادية حادة جعلتها عاجزة عـن سداد الديون وفوائدها. ولم تُجْدِ محاولات حكومات هذه الدول من خلال لجوئها إلى نادي باريس أو نادي لندن لإعادة جدولة قروضها، أو تخفيض معـدلات الفائدة، أو تمديد فترة السداد، أو حتـى إلغاء جزء من هذه الديـون. وفي مثل هذه الحالات تفرض شـروط جديدة على هـذه الدول. ولقـد أدى تزايـد الديـون الخارجية للـدول النامية والفوائد المترتبة عليهـا إلى حدوث أزمات اقتصادية واجتماعية على دول العالم الثالث وشعوبها تجسدت في تعطيل مشروعات التنمية الاقتصادية. فاضطرت هذه الـدول إلى اتبـاع سياسـات اقتصاديـة ومالية

تقشفيــة صعبة ترتب عنهــا تزايد معــدلات التضخم والضغــوط الضريبيــة وتقليص النفقــات. فتراجع مستوى الخدمــات، لا سيما الأساسيــة منها كالتعليم والصحة والاهتمــام بالبيئة، إلى أدنــى مستواه، ما عَمَّــق الضررَ على الشريحــة الكبرى من محدودي الدخل والفقراء في مجتمعات هذه الدول.

لطالمــا تهربت الدول المتقدمــة النمو من وضع حلول طويلة الأجــل لمسألة المديونيــة في دول العالم النامي التي ترى أن مراكز الرأسمالية العالمية هي السبب في تفاقم هذه المسألة. كما أن إحلال التكنولوجيا المتقدمة محل قوة العمــل البشرية، خاصة في الدول النامية، يعد هو الآخر نوعًا من الإرهاب الاقتصادي الدولي. وهــذا الموضوع يثير الرعب والخوف ليس في العالم الثالث فحسب، بل في العالم المتقدم الصناعي كذلك.

أمــا قضيــة عولمــة الفقــر كأحد أبــرز نتــاج العولمة الاقتصادية، فتعد أعلى مراتب الإرهاب الاقتصادي الدولي المعاصر. وتشير إحصاءات الأمم المتحدة إلى أن هناك أكثر من ١,٥ مليار نسمة كانوا يعانون من فقــر الدخل، ويعيشــون على أقل مــن دولار واحد يوميًــا، في عــام ٢٠٠٤ مقابــل ١,٢ مليــار في عام ١٩٧٨. ومثال ذلك الأرجنتين التي زاد عدد الفقراء فيها ليصل إلى ٣,٥ مليون شخص. ويفتقر أكثر من مليار نسمة في الدول النامية إلى المياه المأمونة، وأكثر من ٢,٤ مليار نسمــة إلى صرف صحي لائق. وقد أكــد الأمين العام للأمم المتحــدة هذه الحقيقة بقوله إن خمســ سكان العــالم يعيشون تحت خــط الفقر بدخل يومي لايتجاوز الدولار الواحد، وهم يعانون البؤس والجوع، وتفتك بهم الأمراض.

لقد أصبحت البطالة بكل أنواعها ظاهرة دورية تهدد العالم أجمــع، والعالم النامي خاصــة. فهناك اليوم حوالي ثلث القــوة العاملة في العــالم، وعددها ثلاثة مليــارات شخص، يعانون مــن البطالة، أو في حالة بطالة مقنعة. وإن نصــف هؤلاء يعيشون تحت خط الفقــر. وجاء في تقرير التنميــة البشرية لعام ٢٠٠٠ الصــادر عن الأمم المتحدة أن معــدلات البطالة التي وصلت إليها الأرجنتين تُعَدُّ مخفية جدًا بسبب السيطرة الأجنبية على الشركات والاستثمارات الأرجنتينية. وقــد تصاعــدت أرقــام البطالة لتصــل إلى ١٥,٤٪ مقابل ١٣,٨ خلال الفترة ١٩٩٧ - ٢٠٠٠، وبلغت مؤخرًا ١٦٪ من مجموع القوى العاملة البالغة ١٤,٥ مليــون عامل. وتُمثل سياسات صندوق النقد الدولي أحد الأسباب الرئيسية لهذه الأزمة.

لعل أبرز مؤشرات الإرهاب الاقتصادي الدولي في مجال البطالة ملاحظة أن عدد العاطلين عن العمل، وفقًــا لتقرير منظمة العمل الدوليــة، قد بلغ في مطلع عــام ٢٠٠١ نحو ١٦٠ مليون شخص، مقارنة بنحو ١٤٠ مليون شخص قبل عامين من ذلك التاريخ.

لقد تفاقم وضع البطالة مع تعمق الأزمات الاقتصادية في دول العالم النامي عمومًا، وتعد الدورات التجارية ومــا يصاحبها مــن نشــر عدواهــا إلى الاقتصادات الأخــرى إرهابًــا اقتصاديًــا جديــدًا. والــدورات التجاريــة هي جزء متأصــل في دينامية عمل ا لنظام الرأسمــالي وآلية السوق الحــرة. وهي، من فترات رواج وفــترات كساد، جزء لا ينفصــل عن النظام

الرأسمالي بكل أشكاله. فالاقتصاد الرأسمالي، مهما كان نوعه، يمـر بفترات رواج وفترات كساد تتأثر بها الشركات الكبر ى سلبًا وإيجابًا.

وهكذا، باتت اقتصادات العالم النامي مع بداية القرن الحـادي والعشريـن تخضع لشتى أنـواع الإرهاب الاقتصـادي الـدولي، إرهـاب اقتصـادي متعـدد الألـوان والأشكال. وإن تفشي ظاهرة الإرهاب في الاقتصـاد الدولي الـذي تمارسه مراكـز الرأسمالية المتقدمـة من خـلال سياساتهـا الاقتصادية يهدف في نهاية المطاف إلى جعل عالم الجنوب محاطًا بضغوط من كل الاتجاهات. وتسعى هذه المراكز إلى ممارسة الإرهاب الاقتصادي في الاقتصاد العالمي عبر قنوات الـدولار والنفط والمعادن والأسلحة، ولم يعد أمامها لتصحيح اختـلالات موازينها التجارية سوى التهديد بفتح الأسواق بالقوة، مـا يتنافى والخطاب المعاصر الداعي إلى حرية التجارة. فهي تريد تأجيل مواجهة أزمتهـا الاقتصادية. وإن قطـع الطريق أمام أوربا الموحـدة واليابان، وإلغاء موقعها كقـوة عالمية، هو نـوع من الإرهاب الاقتصادي الدولي. وكذلك فإن فسح المجال للاقتصاد الإقليمـي، وضرب التضامن العربـي، وتعطيل مسيرة العمل الاقتصادي العربي المشـترك، هي أمور تشكل نوعًـا آخر من الإرهاب الاقتصادي الـدولي. ولقد أخذت بعض تلك المراكز تلـوح بالقـوة في كل مـكان، وتشهـر السيـف في عروض تطويع العام وتعبئة موارده المالية لتكريس نمط الحيـاة الغربية، والإبقاء علـى رفاهية المجتمع الغربـي على حساب العالم بأجمعه حتى على حساب الشركاء.

يخطــيء من يظن أن قوى العولـمة وقوى التحررية الاقتصاديــة الجديـدة هــي قـوى غـير إرهابيــة في الاقتصــاد العالمي المعـولم. وإن عناصر الهيمنة التي تمتلكها مراكــز الرأسمالية المتقدمة تعد فعلاً وتمارس كقوى من قبيل الإرهــاب الاقتصادي الدولي. ولقد فشلـت هــذه القـوى وقـوى الهيمنة وقـوى السوق ونظرية اليـد الخفية في معالجة هذه الاختلالات التي تعاني منها هذه المراكز.

إن من أخطــر أنواع الإرهــاب الاقتصادي الدولي محاولة بعض مراكز الرأسماليـة نقل أعباء أزماتها الاقتصادية إلى بقية مفاصل الاقتصاد العالمي، خاصة إلى اقتصــادات دول الجنوب. ويلاحـظ أن بعض هذه المراكــز أخذت تفقد تدريجيًا نفوذها الاقتصادي ومكانتهــا الاقتصادية العالمية منـذ بداية التسعينيات، وأنهـا فقدت الكثير مــن نفوذها كـدول قائدة لمحور الإنتــاج الصناعــي في العــالم، وكمراكــز جــذب للاستثمــارات الأجنبية. وقد أخذت مثل هذه المراكز تمارســ شتى أنــواع الإرهاب الاقتصــادي الدولي من أجــل استعادة ذلك النفوذ والمواقع الاقتصادية في الاقتصاد العالمي. ومــن خلال تحليل مؤشرات أداء هذه المراكز يتضح أن الأزمات الاقتصادية التي تعاني منهــا ليست ذات طبيعة دوريــة فحسب، بل هي أحد أعراض الاضطـراب الهيكلي المتأصل في المتغيرات الداخلية والخارجية المكونــة للاقتصاد العالمي. وهذا يعني أن أزمات الاقتصاد العالمي هي أزمات دهرية هيكلية تعكس ظواهر عميقة الجذور وطويلة الأجل، وهــي بهذا المعنــى مظهر لعدم التــوازن والاختلال الهيكليين عميقــي الجذور. وإن عــدم إمكانية إيجاد

حلـول لهـذه الأزمـات يؤكد عـدم قـدرة السياسة النقديـة والمالية على معالجـة اختـلالات الاقتصاد العالمـي الداخلية والخارجية. وفي هذا الإطار، لا بد من التأكيـد بأن محاولة هذه المراكـز اتباع سياسات قصيرة الأجل، ضيقة الأفـق، أحادية الجانب، هي محاولـة غير مجدية لأن الطبيعـة المتكاملة للاقتصاد العالمـي، وتشابـك المشـكلات بصـورة متزايـدة، وحلولها المتداخلة، تستوجب نهجًا عالميًا مشتركًا يأخذ في الاعتبار جميع مشكلات الاقتصاد العالمي.

لجأت مراكـز الرأسمالية العالميـة، ضمن توجهاتها لتأجيـل أزمتهـا التاريخيـة، إلى تخريـب التعددية (التعاون الاقتصادي المتعدد الأطراف). فقد شهد عقد الثمانينيات محاولات كثيرة مـن جانبها للاستعاضة عن الإجراءات المنسقـة ذات النطاق العالمي بانتهاج ثنائية غير منسقة تقوض تعددية الأطراف. ويكشف التـآكل الحالي الـذي يتعرض له مبـدأ التعددية عن المحاولات الراميـة إلى تخريب هذا المبـدأ وإضعافه عـن طريق اللجـوء المتزايـد إلى الثنائيـة من جانب القـوى الرأسماليـة، بهـدف تحقيق أهـداف خاصة على حساب البلـدان النامية، وعلى حساب الشركاء التجاريين من بلدان الشمال.

لقد أدركت تلك المراكز أن نمط إنتاجها لم يعد مؤهلاً لإدامة نمط الحياة الإقتصادية، ولجأت إلى الاعتماد على مصدر خارجي لتمويـل عجزها المالي. ولذلك باتـت تضغط علـى الاقتصـاد الياباني الـذي أصبح قادرًا على أن يقـول للولايات المتحدة: لقد بدأ عصر العملاق الياباني الذي لن يكون عملاقًا ثالثًا، خاصة أن الاقتصاد الأمريكي أوشك أن يبلغ سن الشيخوخة المبكـرة في أداء دوره كمحـور للإنتـاج الصناعـي العالمـي، واليابـان هـي المؤهلـة الأولى والوحيـدة لانتـزاع هذا الدور المحوري. إن «لا» اليابانية هي المؤشـر الأول والأساسي على معركة محيط هادىء جديـدة تكون نقيضًـا لمعركة المحيط الهـادي القديمة الفاصلة التي جرت بين أمريـكا واليابان، وكرست هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية.

لقـد أصبح واضحًـا أن اليابان تـرى أن الأمريكان كانـوا عنصريين تمامًـا في تحميل اليابـان مسؤولية الخلـل الهائل في ميـزان التجـارة الأمريكي، إذ إن مسؤولية هذا الخلل تقـع على عاتق الولايات المتحدة وعلى الأمريكيين الذين لم يكبحوا جماح رغباتهم في تحقيق الكسب السريع، متجاهلين الانعكاسات السلبية لذلك على قواهم العاملة والمنتجة، وهم بذلك أغرقوا اقتصادهم في حفرة لا قدرة لهم على النهوض منها. وتـرى اليابان اليـوم أن نمط الحيـاة الأمريكية هو الطريق الذي سيوصـل الأمريكان في نهاية المطاف إلى قبرهـم الاقتصـادي. ذلـك النمط الـذي يجعل الأمريـكان يعيشون هوسا استهلاكيًـا يدفعهم للعيش ببـذخ يتجـاوز إمكاناتهم وقدراتهـم الشرائية. وهم استسهلوا الاعتماد على التمويل الخارجي للاستمرار في ذلـك النمط غير مدركين عـدم قابلية وضع كهذا للاستمرار إلى ما لا نهاية.

وتتبـع بعضـ مراكـز الرأسماليـة اليـوم سياسات وممارسات اقتصادية فردية وقسرية وتمييزية وسيلة لممارسـة الضغط الاقتصـادي والسياسي على دول

العالم النامي والمتقدم على حد سواء، ما يعد انتهاكًا لحقوق الدول وواجباتها الاقتصادية، ولمبادىء بناء الثقة في العلاقات الدولية، ومبادىء الأمن الاقتصادي العالمي. إن السياسات بهذا التوجه تسهم إسهامًا كبيرًا في تعريض الأمن الاقتصادي العالمي لمخاطر عدم الاستقرار وتدهور البيئة الاقتصادية العالمية. كما إن التدابير الاقتصادية كوسيلة للقسر الاقتصادي لا يمكن تبريرها من منظور القانون الدولي. وكذلك الأخذ بتدابير القسر السياسي والاقتصادي لا يتفق مع مواد مجموعة الاتفاق العام بشأن التعريفات الجمركية والتجارة (مجموعة الغات)

والملاحظ من جميع تقارير الأمم المتحدة الاقتصادية أن ممارسة القسر الاقتصادي في ازدياد متواصل، وتشكل جزءا من الاستراتيجية الاقتصادية في العلاقات الخارجية للولايات المتحدة. ولعل من أبرز أمثلة التدابير الاقتصادية كوسيلة لممارسة الضغط الاقتصادي والسياسي: الحظر، والمقاطعة، والحصار الاقتصادي، وقطع التعاون في المجالات الاقتصادية والعلمية والتقنية، ومنع الاستيراد، وتقييد نقل التكنولوجيا، وتجميد الأرصدة، ووضع قيود على حركة رؤوس الأموال، وخلق صعوبات اقتصادية أمام تنمية البلد المقابل، وتدمير اقتصاد بلد آخر.

إن هذه التدابير، التي غالبًا ما تلجأ إليها بعض مراكز الرأسمالية كلما اشتدت أزمتها، ما هي إلا محاولات فاشلة لزعزعة الاستقرار الاقتصادي والسياسي في بلد معين. وإن السياسات الاقتصادية لهذه المراكز تعرض الأمن الاقتصادي العالمي لمخاطر كثيرة، في حين أن هذا الأمن يُعدُّ شرطًا رئيسيًا لتحسين العلاقات الاقتصادية الدولية وتعزيز التعاون الاقتصادي الدولي المتعدد الأطراف. وبسبب السياسات الاقتصادية التي تتخذها الولايات المتحدة، خاصة استخدام القوة الاقتصادية سلاحًا علنيًا من أسلحة السياسة الخارجية، تَزايد انعدام الأمن الاقتصادي العالمي. ومع تزايد هذا الانعدام، زادت الشكوك أمام النهج المتعدد الأطراف في ميدان الشؤون الاقتصادية الدولية، وأصبحت القرارات الاقتصادية وآثارها أقل وضوحًا وشفافية. وفضلاً عن ذلك، فقد اتبعت هذه المراكز ما يسمى بأدبيات الأمم المتحدة «النزعة الأحادية القسرية» بلجوئها إلى اتباع مجموعة متنوعة من الإجراءات التجارية الأحادية والثنائية في إطار ما يسمى «السياسة التجارية الاستراتيجية»، التي تهدف إلى ممارسة ضغط من جانب واحد على بلدان أخرى لفتح أسواقها أمام السلع الأمريكية. وبهذا المعنى يلاحظ أن هذه المراكز تقوم باتخاذ قرار من جانب واحد لتحديد ما هو عادل أو غير عادل من الممارسات التجارية للبلد الشريك. وتأتي سياسات هذه المراكز الرأسمالية بهدف عرقلة النظام التجاري الدولي المفتوح، بالاعتماد على التهديد بالانتقام التجاري للتخفيف من عقبات أجنبية مزعومة أمام صادرات تلك المراكز. ■

نفط العراق والبدائل الاستثمارية المتصارع عليها

أ. كمال القيسي*

كان العـراق في أعقـاب الحـرب العالمية الأولى تحت الانتداب البريطاني. وفي عـام ١٩٢٥، قـام الملك فيصل بتوقيع «عقد امتياز مع شركة نفط Concession Contract» المكونة في بدايتها الأولى (IPC) العـراق من بريطانيا وفرنسا، ثم من شركات النفط الأمريكية التي التحقت بها فيما بعد. كان العقد عبارة عن نموذج لما هو مطبق بشكل واسع في المستعمرات البريطانية التابعة آنـذاك. أعقب ذلك عقدا امتياز في عام ١٩٣٠ منحت الشركات الأجنبية بموجبهما الملكية والسيطرة على النفط في عموم الدولة لمدة ٧٥ سنة، وأعطيت الحكومة العراقية تأثيرا محـدودا على القرارات المتعلقة بالتطوير والسيطرة والضريبة. وقد طلب العراق من الشركات إعطاءه حصة في الامتيازبنسبة (٢٠٪)، إلا أن الطلب رفض، وأعطيت تلك الحصة لشركات النفط الأمريكية. وتعد الامتيازات التي كانت مطبقة في العراق مابين١٩٦١-١٩٧١ ولغاية التأميم من أكثر النماذج تطرفا وتعسفا، خاصة فيما يتعلق منها بملكية الشركات الأجنبية للنفط داخل الأرض، وتعويض الدولة عن ذلك بشكل «ريع وضرائب». وخلال فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، تعاظم الشعور بالإجحاف حـول الكيفية التي تتم بها قسمة العوائد بين الحكومة والشركات، وسيطرة الشركات على قرارات تطوير النفط العراقي؛ ومراحله، وتقييد الإنتاج وزيادته من مناطق أخرى في العالم، ومزاولة الشركات احتكارها في تثبيت الأسـعـار، ومـن ثم تحديد الدخل العراقي؛ ما أدى في نهاية المطاف إلى تأميم الصناعة النفطية في العراق على مرحلتين في ١٩٦١وفي ١٩٧٢. وقد انتشر الشعور بالغبن والرفض في الـدول النفطية المنتجة الأخرى (ومنها بعض دول الخليج)؛ ما أدى إلى تأميم الكثير من الصناعات النفطية حول العالم. ومنذ سلسلة التأميم التي حدثت في صناعة النفط الرئيسية في الشرق الأوسط (١٩٧٠)، أصبحت الاحتياطيات النفطية للمنطقة خارج سيطرة الشركات النفطية الغربية، ما دفعها إلى ملء الفراغ من حقول بحر الشمال والآلاسكا في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، وفتح حـدود جـديـدة كمنطقة حوض البحر الأسود وخـارج اليابسة في غرب إفريقيا.

* مستشار وخبير في الطّاقة والنّفط؛ عضو المنتدى.

ونظرا لانخفاض الإنتـاج في كل من بحر الشمال والآلاسكا، وارتفاع التكاليف الإنتاجية للنفط في تلك المناطق، حولت الولايات المتحدة وبريطانيا اهتمامهما مرة أخرى نحو نفط منطقة الشرق الأوسط. ففـي عــام ١٩٩٣، أنشــىء «المــركز الـدولي للضـريبـة والاسـتثمـار «International Tax & Investment Center (ITIC)» الذي يضم في عضويته ١١٠ شركات نفطية منها: شل، والنفط الإنكليزية، وكونوكوفيلبس، وإكسون موبيل، وشيفرون تكساكو... وبدأت تلك الشركات بالتركيز على العراق كخطوة أولى في خطة تهدف إلى انفتاح عملياتها في الشرق الأوسط.

في عام ٢٠٠٤، أصدر المركز المذكور تقريره «النفط ومستقبل العراق»، متضمنا التوصيات الآتية:

* إن عقــود مشــاركة الإنتـــاج Production Sharing Agreements (PSA) تُعد النموذج القانوني والمالي المناسب لتسهيل عملية تطوير الصناعة النفطية وتنميتها في المدى البعيد. وإن نماذج العقود النفطية الأخـرى تعتبر متدنية بالقياس مع عقود مشاركة الإنتاج.

* إن الاستثمار الأجنبي المباشر من (ITIC)، أو من أي من الشركات النفطية العملاقة، يُعد خطوة أولية مهمة في طريق تفعيل الاقتصاد العراقي، نظرا لحاجة الحكومة العراقية إلى الأموال التي قد تخصص للنفط لاستثمارها في برامج تنمية قطاعات أخرى.

وفي عام ٢٠٠٢، كان قد عقد اجتماع في تكساس بين الرئيس بوش وبلير بهدف التنسيق بشأن نفط الخليج اتفق فيه على ضرورة العمل على زيادة الطاقة الحالية في الخليج من ٢٣مليون برميل/يوميا إلى ٥٢ مليون برميل /يوميا، نظرا لما ستؤول الحاجة إليه في عام ٢٠٣٠. ولتحقيق ذلك، أوعز كلا الرئيسين إلى مجموعة عمل تابعة لـوزارة الخارجية الأمريكية بدراسة حجم الأموال والاستثمارات المطلوبة في منطقة الخليج، وبشكل خاص في «العراق». قدرت مجموعة العمل بأن العراق يحتاج، كحد أدنى، إلى استثمار ٤مليارات دولار لإرجاع الإنتاج إلى ما كان عليه قبل ١٩٩٠(٣,٥مليون برميل/ يوميا)، وإلى ٢٥ مليار دولار من أجل زيادة الإنتاج إلى ٥ مليون برميل/يوميا، وأوصت باللجوء إلى الشركات النفطية الكبرى للقيام بعملية التمويل.

في ضوء ذلك، بـدأ الغرب العمل على إعادة صياغة السياسة النفطية العراقية قبل الاحتلال (٢٠٠٢). وفي بداية الاحتلال، قامت سلطته بتعيين مديرين فنيين من الشركات النفطية الكبرى (SHELL, EXSON MOBIL, CONOCO PHILIPS, BRITISH PETROLEUM) للمساعدة في إيجـاد سـيـاسـة نفطيـة للعـراق. وعمل هؤلاء في وزارة النفط العراقية، منسقين وداعين إلى فتح حقول النفط العراقية بموجب آلية عقود مشاركة الإنتاج.

في ٢٠٠٣/٧/١٣ أنشأ بريمر مجلس الحكم، وعين وزيرًا للنفط في اليوم نفسه الدكتور إبراهيم

بحر العلوم (كان عضوًا في مجموعة عمل النفط التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية)، الذي دعا في تصريحاته الأولى إلى: الأخذ بعقود مشاركة الإنتاج وإعطاء الأولوية للشركات النفطية الأمريكية.

وعند مجيء الحكومة الانتقالية للدكتور إياد علاوي، كانت خطتها وضع السياسة النفطية على المحاور الآتية:

١) قيام الشركات النفطية العالمية بتطوير جميع الاحتياطيات الجديدة من خلال عقود مشاركة الإنتاج.

٢) قيام شركة النفط الوطنية العراقية بإدارة الحقول الحالية وإجراء خصخصة جزء منها.

٣) التسويق المحلي وبيع المنتجات النفطية إلى القطاع الخاص.

٤) قيام الشركات الخاصة بإنشاء المصافي الجديدة وتوسيع القائم منها.

وأعلن الدكتور علاوي أن هذه المواضيع يجب أن لا تجري مناقشتها في البرلمان العراقي خوفا من إبطاء العملية. كانت النية آنذاك البدء بمفاوضة الشركات الأجنبية في النصف الثاني من عام ٢٠٠٥ قبل انتخاب حكومة عراقية، وبشكل متواز مع كتابة «قانون النفط والغاز». **معنى ذلك أن العقود أريد لها أن يتم التفاوض بشأنها مع الشركات الأجنبية خارج الإطار القانوني، أي بدون عرضها على الرأي العام من أجل مناقشتها وإقرارها.**

في ضوء ما جاء في أعلاه، يتبين لنا أن هناك تنسيقًا محكمًا وإصرارًا بين أطراف الاحتلال والشركات النفطية الغربية التابعة على إقناع الجانب العراقي بضرورة الاستعانة بالاستثمار الأجنبي من أجل تطوير الصناعة النفطية العراقية وتنميتها، والأخذ «بعقود مشاركة الإنتاج» كأفضل آلية لتحقيق ذلك؟!. والسؤال: لماذا؟

تهدف الشركات النفطية الغربية من وراء استثمارها تحت مظلة عقود المشاركة إلى:

١) «حجز» جزء من الاحتياطيات النفطية واستخراجها على مدى سنوات طويلة لضمان نموها المستقبلي وزيادة القيمة الدفترية للشركة، ومن ثم وزنها في الأسواق المالية.

٢) الفرصة التي تتيحها عقود المشاركة في تحقيق أرباح عظيمة جدا.

٣) تحديد المخاطر السياسية، وضمان استرجاع الاستثمارات الموظفة من خلال ربط الحكومات بعقود طويلة الأجل وسريان شروطها الثابتة نسبيا كضمان لاستثماراتها.

والسؤال الواجب طرحه: ما هي سمات اتفاقيات مشاركة الإنتاج؟

بموجب هذا النموذج، تقوم الشركة الأجنبية بتوفير رأس المال الاستثماري المتعلق بالحفر والبنى الإنشائية التحتية، ويتم إعطاؤها الحصة المستخرجة الأولى من النفط لكي يتسنى لها من خلال بيعها استعادة تكاليف رأس المال والتشغيل. يدعى هذا الجزء من النفط «نفط التكلفة Cost oil»،

ويحدد سنويا. وبعد استرجاع جميع التكاليف، يتم اقتسام النفط المتبقي «الربح على شكل نفط Profit oil» بين الدولة والشركة وفق نسب يتفق عليها. وتؤخذ الضريبة من حصة الشركة في النفط الربحي، وقد يكون إلى جانب ذلك «ريع Royalty» يدفع عن النفط المنتج. وتدفع الشركات إلى الحكومة مكافأة عن توقيعها العقد، وفي بعض الأحيان عند بدء الإنتاج. وتمتد عقود المشاركة بين ٢٥-٤٠ سنة. وفي بعض الأحيان تدخل الحكومة كشريك تجاري في عقد مشترك يجمع الاثنين،الدولة والشركة الأجنبية أو الكونسورتيوم Joint Venture. بموجب ذلك تدفع الحكومة حصتها في رأس المال المستثمر، وتستلم نسبتها في نفط التكلفة والنفط الربحي.

يرى الكثير من خبراء العقود النفطية، ومنهم (Daniel Johnston)، عدم وجود فروق جوهرية بين «عقود الامتيازات» و«عقود مشاركة الإنتاج» سوى إظهار سيطرة الدولة. فاتفاقيات مشاركة الإنتاج تعطي الانطباع بملكية الدولة وسيطرتها على مصادرها النفطية، إلا أنها تبقي على جوهر الامتيازات النفطية من حيث العوائد النهائية الفاحشة والمتحيزة لصالح الشركات الأجنبية. إن التداعيات المالية والاقتصادية لعقود المشاركة هي نفسها لعقود الامتياز. والدولة في ظل هذه العقود تبدو المسيطرة على الصناعة النفطية، في حين أن هذه الصناعة تديرها الشركات الأجنبية، وليس للدولة إلا السيادة الوطنية الشكلية. ويمكن إجمال المساوئ الرئيسية لعقود المشاركة بما يأتي:

- تتضمن الكثير من تلك الاتفاقيات فقرات قانونية تمنع سريان القوانين المستقبلية، أو السياسات الضريبية المستحدثة، على المشروعات المتعاقد عليها. لذا، فإن القوانين الوطنية، أو الإجراءات التي تصدرها الدولة بشأن مستوى العمالة، والأمن المكاني للعمل، والظروف البيئية والاجتماعية، لن يكتب لها التطبيق خلال مدة الاتفاقية.

- خسارة السيطرة الديمقراطية على الصناعة النفطية لصالح الشركات النفطية الأجنبية، إذ إن بعض نصوص تلك الاتفاقيات تكاد أن تكون سيادية في طبيعتها.

- تسوية النزاعات عن طريق محاكم التحكيم الدولية (جنيف ICSID / غرفة تجارة باريس)، وليس عن طريق المحاكم الوطنية. فتنظر مجالس التحكيم هذه في أهداف العقد المبرم وشروطه، ولا تأخذ بنظر الاعتبار ظروف الدولة السياسية والوطنية، أي أنها تنظر للنزاع في الإطار الواسع للقانون العام.

- خسارة الدولة لمبالغ طائلة من العوائد لصالح الشركات النفطية الأجنبية. ولتبيان ذلك قامت دراسات مقارنة (مع نموذج التأميم)، حيث أخذت شروط عقدية من دول مشابهة للعراق، وجرى تطبيقها على المواصفات المادية للحقول النفطية العراقية (١٢ حقلا من أصل ٦٠ حقلاً غير مطور). وعلى فرض أن مدة العقد هي ٣٠ سنة، وأن معدل سعر النفط هو ٤٠ دولارًا/ للبرميل الواحد، وجد أن عقود مشاركة الإنتاج سوف تكلف العراق بين ٧٤-١٩٤ مليار دولار تمثل خسارة في عوائده عما لو تم تطوير نفطه

من الدولة. وعند تطبيق شروط عقد المشاركة على الحقول المختلفة، وجد أن أرباح الشركات النفطية الناجمة عن استثماراتها في العراق ستكون عالية جدا (معدل العائد السنوي Internal Rate of Return): بالنسبة للحقول الصغيرة سيكون العائد من ٤٢ ٪- ٦٢٪، والحقول الكبيرة بين ٩٨٪- ١٦٢٪. معنى ذلك أن خسائر العراق من العوائد ستكون أرباحا للشركات النفطية، علما بأن الشركات النفطية تعتبر المشروع ناجحا إذا ما كان المعدل المذكور ١٢٪. وتحاول الشركات الأجنبية إقناع الطرف الآخر المحتاج إلى جذب رؤوس الأموال اللازمة للتطوير بأن العقد يجب أن يكون متوازنا بين المصالح التجارية وبين مخاطر العقد. لذا فإن مؤيدي عقود مشاركة الإنتاج ومروِّجيها يؤكدون عدم تمكن العراق من استقطاب رأس المال اللازم لإعادة بناء القطاع النفطي وتطويره. إن ذلك غير صحيح، فالعراق لديه، على الأقل، ثلاثة بدائل في الحصول على الاستثمارات المطلوبة قبل اللجوء إلى النموذج الذي يقيد سيطرته على نفطه، ويحمله خسائر بالإمكان تفاديها. وهذه البدائل هي:

١. الاستثمار المباشر من خلال الميزانية العامة. ويشجع على ذلك انخفاض المخاطر وكلف التطوير بالمقارنة مع العوائد. لذلك، فإن استرجاع الاستثمارات الموظفة سيكون سريعا. وتقدر الاحتياجات الاستثمارية الأولية بحدود ٣ مليارات دولار سنويا. وبعد ٣ سنوات من بدء الاستثمار التطويري، فإن العوائد المتحققة من الإنتاج الجديد سوف تكون أعلى من المتطلبات الاستثمارية اللازمة، ومن ثم ستكون مصدرا للتمويل. إن اقتطاع هذا المبلغ من الميزانية لن يؤثر تأثيرا كبيرا على القطاعات الحيوية الأخرى.

٢. قيام شركة النفط الوطنية أو الحكومة العراقية بالاقتراض من البنوك بضمانة الإنتاج النفطي المستقبلي، أو من الهيئات المتعددة، كالبنك الدولي، أو إصدار سندات حكومية لهذا الغرض. إن عملية الاقتراض في ظل الأسعار القائمة حاليا تجعل من خدمات الدين كلفة هامشية بالنسبة لما يمكن أن يتحقق من عوائد مباشرة.

٣. أن تكون العقود متوازنة ومرنة، كأن تقدم الشركات النفطية الاستثمارات المطلوبة بدون أن يكون لها مصالح مباشرة في النفط المنتج. فالنفط يبقى مع الدولة وللدولة، وتعامل الشركة الأجنبية كمقاول لها. بموجب ذلك، تعطى الشركة الأجنبية حق التشغيل والإدارة، لكن بصلاحيات محددة ولفترات قصيرة نسبيا، ولا يتاح لها تحقيق أرباح عالية جدا، نظرا لأن الدفع سيكون على شكل أجور ثابتة، أو معدل عائد ثابت.

ولتأكيد ما جاء في أعلاه، تشير إحصائيات وكالة الطاقة العالمية (IEA) إلى أن ١٢٪ فقط من الاحتياطيات النفطية العالمية خضعت لعقود مشاركة الإنتاج في بلدان تتصف حقولها بالصغر (غالبا خارج اليابسة أو مُتشاطئة Off-shore)، وبالتكاليف المرتفعة للإنتاج، وأن فرصها الاستكشافية غير مؤكدة (خلاف ما

هو موجود في العراق). أما المتبقي من العقود الأخرى (٦٧٪)، فقد تم تطويرها بشكل رئيسي من شركات النفط الوطنية. فلو أخذنا البلدان الرئيسية الخمسة ذات الاحتياطيات الكبيرة (السعودية، وإيران، والعراق، والكوي، والإمارات)، لوجدنا أن أي واحدة منها لم تأخذ بنموذج عقد مشاركة إنتاج. ومن ثم، فليس لأي من الشركات العاملة لديها حق في الاحتياطيات النفطية.

يجب أن يكون العراق واعيا بحيث لا يقيد نفسه بعقود ترهن احتياطياته وسياسته النفطية لسنوات طويلة، وأن يعمل جاهدا على تحرير عوائده من تكاليف التمويل من خلال اختيار المناسب من النماذج التي تحقق له ذلك (Development Production Contract / Buy Back Contract / Risk Service Contract).

ومن أجل معرفة ماهية هذه العقود واختلافاتها، نود أن نلقي بعض الأضواء على الجوانب الرئيسية منها:

١. نموذج التطوير The Development Model

قامت وزارة النفط العراقية بتطوير هذا النموذج. وهو يعتمد في الأساس على نموذج عقد مشاركة الإنتاج. تقوم الشركة الأجنبية بتطوير الحقل النفطي وإدارته لفترة زمنية، في المعدل ١٢ سنة. بعد ذلك تقوم «شركة نفط وطنية» بإدارة الحقل النفطي، وتقوم الشركة الأجنبية بتوفير الخدمات تحت «عقد الخدمات الفنية»، في المعدل لمدة ١٥ سنة إضافية. خلال هذه الفترة، يكون للشركة الوطنية الحق في شراء النفط، إما بأسعار السوق السائدة أو بموجب خصم يتم الاتفاق عليه. وتؤدي هذه العقود الثلاثة إلى تحديد أرباح الشركات الأجنبية، وتعظيم دخل الدولة واستقلاليتها في إدارة المشروع حسب الظروف الوطنية السائدة. هناك شبه اتفاق بين الخبراء النفطيين بأن كلا النوعين (عقد التطوير وعقد المشاركة) يعتبران من «العقود السياسية». فمن الناحية الفنية، توضع الملكية القانونية للاحتياطيات النفطية بيد الدولة، إلا أنه في الواقع يتحقق للشركات النفطية النتائج نفسها التي يمكنها الحصول عليها من خلال اتفاقيات الامتياز Concession Agreements.

٢. Buy Back Contract

قامت إيران بتطوير هذا النموذج في التسعينيات من القرن الماضي. وجرى تطبيقه على عدد من الاستثمارات الحقلية النفطية. وتبلغ مدة هذا العقد ما بين ٥-٧ سنوات من الإنتاج تسبقها فترة تطوير تمتد ما بين ٢-٣ سنوات. وبموجب هذا العقد، تصبح شركة النفط الوطنية الحكومية المشغل والمدير لذلك المشروع، وتبقى جميع العوائد المتحققة ، وتدفع للشركة الأجنبية رسوم على شكل نفط تحتسب كنسبة من رأس المال المستثمر. ويكون عائد الشركة الأجنبية في المعدل ما بين ١٥٪ - ٢٤٪.

٣. Risk Service Contract

بموجب هذا النموذج، تقوم الشركة الأجنبية باستثمار رأس المال اللازم. وعند البدء بالإنتاج، تعاد التكاليف (من مبيعات النفط)،

مضافًا إليها، بصورة عامة، رسوم ثابتة عن كل برميل من النفط المنتج. لذا، فالشركة الأجنبية تزيد من أرباحها بزيادة الإنتاج، وتتحمل مخاطر فشل المشروع (في حالة الاستكشاف). وهذا النموذج مستخدم في الكويت، ومن المحتمل الأخذ به في «مشروع الكويت» الذي يتضمن الحقول الشمالية.

نخلص من كل ذلك إلى:

- أن القرارات المتعلقة بشكل الاستثمار النفطي والعقود المبرمة هي من الأهمية بحيث يجب أن تكون معلنة على الشعب، وعلى القطاع النفطي والمنظمات الدولية. كما يجب الأخذ في الاعتبار الجوانب السياسية والاقتصادية والبيئية عند مناقشة التنمية النفطية.
- أن ملكية الدولة للاحتياطيات النفطية لا تعني بالضرورة ملكيتها لجميع العوائد من النفط، أو السيطرة التامة على عملية التطوير. إن الحد الفاصل المهم هو بين خصخصة الاحتياطيات النفطية، وبين سيطرة القطاع الخاص على الصناعة التي تستخرج ذلك.
- تتسق مصالح الشركات النفطية العالمية مع المصالح الوطنية لدولها. فالحكومات تبحث عن ضمان عرض كاف من النفط لتلقيم اقتصادياتها. أما الشركات النفطية العملاقة، فتحتاج السيطرة على الاحتياطيات النفطية من أجل أرباحها المستقبلية وزيادة عوائد حملة الأسهم.
- هناك تنسيق عال بين الاحتلال وتابعيه والشركات النفطية العالمية حول العمل على تمرير آلية تعاقدية تتيح للشركات النفطية السيطرة على الاحتياطيات النفطية من أجل ضمان التدفق النفطي لدولها والأرباح المستقبلية العالية لها.
- في ضوء التجارب العالمية السابقة، تغتنم الشركات النفطية الأجنبية وحكوماتها الفرص السياسية، كضعف الحكومة أو انتشار الفساد السياسي والإداري والمالي، لتمرير عقود مجحفة، كما حدث في جورجيا عام ٢٠٠٠ (أنبوب باكو- تبليسي- سيهان). وإن الاحتلال يمثل فرصة ذهبية لسلب السيادة الاقتصادية المتمثلة بالموارد النفطية.
- أن توقيع العقود النفطية تحت الضغوط السياسية، وتمريرها بسرعة تحت غطاء من التستر يوقع البلد بنتائج سلبية يصعب الخروج منها. فالوقوع بالخطأ، أو عدم الوضوح، قد يكبل الاقتصاد العراقي لأربعين سنة قادمة.
- من الأفضل أن يبدأ العراق بتطوير مشروعات صغيرة قبل عرض الحقول النفطية الكبيرة للاستثمار والتطوير. وفي حالة العكس، فإن العراق، في ظل الاحتلال وانعدام الأمن والفوضى الاقتصادية وحاجة الحكومة للعوائد، سوف يجني عقودا ليست في صالحه.
- لم يكن «الأمن» المشكلة الرئيسية الأولى للشركات النفطية الأمريكية، وإنما خوف تلك الشركات من أن العقود التي سوف تحصل عليها من الحكومة القائمة لن تكتسب الشرعية الدولية والأهلية اللازمة إذا ما اعتُرض عليها وعرضتها حكومة وطنية منتخبة على المحاكم الدولية، وفق المعايير المنصوص عليها في القانون الدولي، وما جاء في قوانين وبروتوكولات تابعة ذات علاقة.

إن التدهور الأمني الحاصل في عموم العراق، وضرورة الحفاظ على المناطق النفطية ذات القيمة المضافة، وزيادة الإنتاج والتصدير لما له من فائدة مباشرة للشعب العراقي والمجتمع الدولي، قد يجعل طلب قوات دولية لتأمين الحفاظ على الموارد النفطية أمرًا ضروريًا جدا يجب أن تسعى باتجاهه جميع القوى الوطنية المناهضة للاحتلال. ■



هل كانت «الشعوبيّة» ثورةً اجتماعيّة؟

أ. يوسف عبد الله محمود*

ليس كلُّ ما ذكره المؤرّخون القدامى توخّى الحقيقة وقارب الواقع. فبعض ما قالوه -كما أرى- شوّه حركات اجتماعية طالبت بالعدالة والمساواة كما أقرّها الإسلام. ومن هذه الحركات الاجتماعية «الشعوبية». فهل كانت - كما وصفها مؤرخونا المعاصرون والقدماء - حركة متعصّبة ضد العرب والمسلمين، هدفها تشويه الهوية العربية، وتفويق الهوية الفارسية عليها، ومن ثم سحب البساط من تحت أقدام الحاكمين العرب؟ هل كانت «الشعوبية» - كما وصفها أعداؤها - حركة استعلائية تبنّاها غير العرب من الشعوب القديمة التي اعتنقت الإسلام؟ أم أنها- كما وصفها د. إميل توما - «كانت... ميلاً فكريًا يعرب عن موقف، ويجسّم حالة ذهنية؟»

كتاب: **الحركات الاجتماعية في الإسلام**
دار الفارابي، ص ٢٢١

* كاتب صحافيّ في جريدة **الرأي** الأُردنيّة.

في تصوّري أنها كانت موقفًا اجتماعيًا ثوريًا دعا إلى تفعيل المساواة والعدالة الاجتماعية بين جميع الأقوام الإسلامية في عصورٍ سادها الظلم الاجتماعي والتعصّب للعرب. في عهد النبوّة عُرفت المساواة بأوسع تجلياتها. وظلّ عليه الصلاة والسلام حازمًا في هذا المجال. وليس أدلّ على ذلك من موقفه ﷺ من الصحابي سلمان الفارسي حين حاول أن يتخطّى الجالسين من كبار المسلمين ليجلس إلى جوار الرسول؛ فما كان منه إلا أن هشّ في وجهه وسمح له بذلك. وهنا امتعض أشراف قريش من المسلمين واحتجّوا على تصرّف سلمان الفارسي. فنظر إليهم ﷺ، وقال قوله القاطع: «سلمان منّا آل البيت». ومما تجدر الإشارة إليه «أن سلمان هذا كان عبدًا، ولم يتحرّر إلاّ بالإسلام.»

كتاب: **اليمين واليسار في الإسلام**
تأليف: أحمد عباس صالح

ما معنى هذا؟ معناهُ أن الرسول ﷺ قد ساوى بين جميع المسلمين بصرف النظر عن قومياتهم. ولا أدل على ذلك من حديثه «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشيّ إلاّ بالتقوى». غير أن هذه «الشعوبية»، التي وصف المؤرخ فيليب حتي في كتابه **تاريخ العرب** قيمها الفكرية الأولى بأنها «كانت تدعو إلى التسوية بين كل المسلمين»، خرجت فيما بعد عن هذه القيم حين غدت، خاصة في العصر العباسي، حركةً تدعو

إلى التعصب القومي الفارسي، سيّما أن الخلفاء العباسيين قد آلت إليهم الخلافة بفضل الفرس؛ كما أن الكثيرين منهم كانوا أعاجم أكثر منهم عربًا.

من كل ما تقدم نخلص إلى أن «الشّعوبية» في نشأتها الأولى كانت حركة اجتماعية تقدُّمية؛ لكنها في مرحلتها اللاحقة تحوّلت إلى حركة قومية متعصبة ضد العرب. وكما أرى، فإنّ تهميش القيم الاجتماعية الإسلامية، الذي من مُسبّباته عودة العصبيات، أدّى إلى اتخاذ «الشعوبية» نهجًا آخر متخلفًا.

لنلق نظرة على حال أهل البلاد المغلوبة في الإسـلام. فبعد العصر الزاهر للإسلام، حيث ساد «المبدأ الجميل» الذي حمله الرسول الكريم، وأعني به مبدأ «المساواة» في الحقوق والواجبات، تبدّل الحال كثيرًا؛ فأمسى العرب ينظرون إلى هـؤلاء من غير العرب بعين الاحتقار، بالرغم من إسلامهم. حدث هذا في العهد الأموي، خاصة في أواخره. وفي هذا الصّدد يقول المؤرّخ العربي صاحب الرّيادة في حقل الدراسات التراثية، كما وصفه حسين مروّة، وأعني به بندلي الجوزي ما يأتي:

«بالرغم من أنني لا أنكر فضل بني أمية على الأمة العربية وبعض حسناتها على الأمم المغلوبة، كالفرس مثلاً، الذين ألغوا بينهم النظام القديم المبني على تفاوت الطبقات وساووا بينهم في الحقوق والواجبات، إلا أن ذلك لا يمنعني أن أقول إن حالة الطبقات السُّفلى من الأهالي أخذت تسوء في أواخر أيام بني أميّة، وإن الخلفاء المذكورين كانوا مضطرين بسبب حبهم للمال لقضاء مهماتهم السياسية وإرضاء أنصارهم إلى «نسخ سُنة النبي وخلفائه الراشدين المتعلقة بحقوق، أو امتيازات، من كان يعتنق الإسلام من أهل الذّمة والشرك...».

كتاب: **من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام**
تأليف: بندلي الجوزي، ص ١٦-٢٦
الطبعة الثانية ١٩٨١

ألا يؤدي هذا التحوّل الاجتماعي إلى إيجاد شرعيّة لبعض الحركات الاجتماعية، كحركة «الشعوبية»، التي - كما أسلفت - قد طرحت في عهد نشأتها الأولى قيمًا إنسانية نبيلة، كضرورة تفعيل «المساواة» و«العدالة الاجتماعية» بين الناس؟

أعود فأقول: إنّ شهوة حب المال وتبرير كل وسيلة لجمعه، إضافة إلى تنامي «العصبية العربية» في بعض العهود العربية القديمة، أدّيا إلى ظهور «طبقيّة» لم يعهدها الإسلام في عهده الأول: «ولا عجب والحالة هذه إذا وجدنا قسمًا كبيرًا من سكّان البلاد المغلوبة ناقمًا على العرب ودولتهم، يعمل سرًّا وعلانيةً على تقويض ملكهم ومقاومتهم بالسيف والقلم، ولعلّه كان بالقلم أكثر منه بالسّيف، كما تشهد على ذلك الحركة

«الشعوبيّة» التي اشترك فيها الفارسي والنّبطي والقبطي والتركي وغيرهم من الشعوب الواجدة على سياسة بني أميَّة العربية.»

وأشار إلى ذلك المستشـــرق الشهير غولدزيهر Goldziher، واستشهد بقوله الأستاذ بندلي الجوزي في كتابه السابق الذكر (ص٦٧).

لو أنّ سُكّان البلاد المغلوبة لم يشعروا بالضَّيْر والإقصاء بعد عهد النبوّة والخلفاء الراشدين، لما لجأوا – في اعتقادي – إلى الخروج عن النظام العربي الحاكم. وحقًّا ما يشير إليه الأستاذ أحمد عباس صالح «من أنّ أية ثورة كبرى من الثورات التي عرفتها الإنسانية تنطوي، علاوة على جانبها المادي، على جانبها الروحي... تبدأ شرارتها من الواقع المادي الأليم لتصوغ فكرًا إنسانيًا شاملاً...»؛ هذا إذا لم تنحرف عن مُثُلها.

كتاب: **اليمين واليسار في الإسلام**، ص٨٨

والمؤسف أن الكثيرين من دارسي التراث العربي والإسلامي تجاهلوا، لسبب أو لآخر، هذه الحقيقة التي أشار إليها الكاتب أحمد عباس صالح. فلم يقرأوا واقع الصّراعات القومية قراءةً موضوعية، ولم يدرسوا دوافعها الاجتماعية والسّياسية؛ بل راحوا، أو راح معظمهم، يتهمونها دومًا بأنها تنمّ عن تعصُّبٍ قوميّ. لم يحاولوا رَدَّ هذه الثورات الاجتماعية إلى التناقضات الطبقية التي احتدمت في المجتمع العربي الإسلامي بعد اتّساع الفتوحات الإسلامية، وشيوع التَّرف، وتنامي أعداد المعدَمين والمهمّشين؛ بل ردّوها بالمطلق إلى ما أسْمَوْهُ الحركات الانفصالية والمتمرّدة على القيم الدينية.

صحيح أن هذه الثورات أو بعضها لم تسلم من التطرّف والتعصّب في أواخر أيّامها بسبب غياب قياداتها الثوريّة التقدّمية عن الساحة وحلول قيادات انتهازيّة محلّها. لكنّ الصحيح أيضًا أنّ منها ما ظلّ وفيًّا للكثير من القيم الإنسانية التي طرحها. وفي هذا يقول د. إميل توما مرّةً أخرى: «إنّ الإسلام، على الرّغم من شموله الكوني، وتعاليه عن العزلة القومية بين الشعوب التي انتسبت إليه، لم يمنع الصّراعات القومية. فكانت الحركات الشُّعوبيّة – ولها هي أيضًا دوافعها الاجتماعية السّياسية – تعبيرًا عن الكفاح من أجل التسْوية بين الشعوب في البداية، وعن التعصُّب الاستعلائي فيما بعد.»

الحركات الاجتماعية في الإسلام، ص ٢٤١

أخيرًا، يمكن أن نوجز في كلمات قليلة أسباب ظهور «الشُّعوبيّة» في المجتمع العربي الإسلامي إبّان العهد الأموي وما تلاهُ بأنها أسباب اقتصادية واجتماعية، أكثر من كونها أسبابًا سياسيّة. ■

الأندلس مشروعًا سياسيًّا

دة. فريال العلي*

تستعاد الأندلس اليوم واقعًا أسطوريًّا، وتمتدّ في قلوب تبحث عن يوتوبيا ضائعة، هربا من جحيم الحروب الخارجية والصراعات الداخلية في بقاع مختلفة من العالم، أو عقول تحاول إعادة صياغة الواقع وإخراج العالم من دوامة العنف التي ستأكل الأخضر واليابس، إن ظل الأمر على ما هو عليه، من خلال الاستفادة من التجربة الحضارية الأندلسية التي امتدت ثمانية قرون، واتخاذها نموذجا في نجاح حوار الثقافات وتقارب الأديان.

مؤتمر « الأندلس كمشروع»

في نهاية عام ٢٠٠٦ عقد في عمّان مؤتمر «الأندلس كمشروع» بالتّعاون بين السفارة الإسبانيّة والمركز الثّقافيّ الإسبانيّ وأمانة عمان الكبرى. لكن المشروع الجديد للأندلس لم يبدُ واضح المعالم في أوراق عمل تنازعها اختلاف عرقي وديني لا خلاف، وذهب أغلبها إلى الغوص في التاريخ والأدب والفن والعلوم المختلفة بعيدا عن العنوان المقترح. وفي النهاية، اتفق المشاركون على ضرورة فتح باب الحوار في تقييم التجربة من الطرفين العربي والإسباني، بعيدا عن الفكرة المستقرة في ذهن كل منا عن الآخر. ولعل ورقة المستشرق إدواردو مانثيو تكاد تكون الأقرب إلى تأسيس المشروع الأندلسي الجديد، وإن كانت تحتاج إلى مناقشات ومجادلات لإنضاجها وصقلها وتشذيبها وضمان حيادها وعدم طغيان معطياتها على حساب أحد الأطراف.

يرى مانثيو أن علينا جميعا -عربًا وإسبانًا- أن ننهي أسطورة الأندلس المستقرة مسبقا في ضمائرنا، وأن ننظر إلى التجربة بحياد: نشيد بجوانبها المشرقة، وننظر في سلبياتها دون مواربة أو تسويغ، ودون انبهار أو حقد مبيّت، وهو أمر يضمن حياد الدراسات ويضعها في سياق التجربة الإنسانية ككل. وإن كان التنظير يبدو سهلا، فإن الطريق لن تكون مفروشة بالورود بالتأكيد. ويكفي، مثالا بسيطا جدا على ذلك، لكنه عميق الدلالة، أن أصرّ الإسبان على التّحدث باللغة الإسبانيّة رغم إجادتهم للعربيّة، وأرّخوا-

* أكاديمية وكاتبة أردنية/ سكرتيرة تحرير مجلة **جرش الثقافية**؛ جامعة جرش الأهلية - الأردنّ.

في هذا المؤتمر – لمعلوماتهم بالتاريخ الميلادي؛ فيما اعتمد المحاضرون العرب –في الغالب– التاريخ الهجري؛ ولم يحاول أحدهم اعتماد تاريخ الآخر، أو المزج بين التاريخين إلاّ نادرًا، فما بالنا بما هو أعمق وأخطر؟!

سؤال الأندلس اليوم

إن التجربة الحضارية الأندلسية تجربة تستحق أن تكون في قائمة المشروعات الفكرية المعاصرة لتخليص العالم من أزمته. لكن سؤال الأندلس اليوم ليس سؤال الحضارة بقدر ما هو سؤال السياسة... نقف مبهورين أمام المنجز الحضاري للأندلس منسلخا عن معطياته الحقيقية... نقدم النموذج تلو الآخر على نجاح التعايش الديني والثقافي بين المسلم والنصراني واليهودي من ناحية، وبين العربي والإسباني والبربري من ناحية أخرى، ونغيّب سهوا أو عمدا الدرس السياسي الذي ارتكزت عليه التجربة.

انقلاب موازين القوى

فُتحت الأندلس سنة ٩٢هـ ؛ أي بعد سقوط الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية بأكثر من نصف قرن قليلا. فُتحت في وقت يعاد فيه تشكيل موازين القوى المسيطرة على العالم في الجزيرة وحوض البحر المتوسط، وتظهر فيه قوة عربية إسلامية ناشئة تحمل قيما جديدة للعالم. وعلى الجانب الآخر من البحر أزمات سياسية عاصفة وأحقاد شخصية جرت تصفيتها على حساب الأرض والشعب، وهي ظروف أثّرت فيما بعد على طبيعة الحضور السياسيّ العربيّ الإسلاميّ في أوروبا كلّها، وأسهمت بصورة حقيقيّة في صمود التّجربة الأندلسية بأسرها ثمانية قرون، منها ثلاثة للحكم الأمويّ الّذي لم يصمد في المشرق قرنا واحدا.

التّعايش ضرورة استراتيجيّة

بعد سقوط دولة الأمويين في المشرق، خرج صقر قريش عبد الرحمن الداخل مدركا استحالة العودة إلى موطن النفوذ السياسي الحقيقي، وصعوبة القبض بيد من حديد على هذه الأرض الجديدة المعقدة التضاريس العرقية والدينية والسياسية وحتى الجغرافية، وكان عليه أن يؤسس ملكه على أسس مختلفة تراعي هذا الواقع الجديد.

لم يكن التعايش السلمي بين هذا الخليط المتشعب المعقد خيارا تكتيكيا عند هذا القائد وأولاده من بعده، بل كان ضرورة استراتيجية حافظ عليها الأمويون خلال زمن حكمهم الطويل الذي مهد لتأسيس نظرية حكم جديد لم يلجأ الساسة فيه إلى أي ممارسات عنيفة إلا عند الضرورة القصوى وفق رؤاهم الخاصة. وهذه حقيقة غابت عن مختلف أشكال الاحتلال المعاصر –إن نظرنا من زاوية الإسبان أن الوجود العربي الإسلامي في الأندلس كان احتلالا– إذ يسعى المحتلون الجدد اليوم إلى قهر الإنسان في وطنه وعلى أرضه، وسلبه أملاكه وثرواته، ولن ينجح حل سلمي

في أي بقعة من بقاع العالم لأن الصراع - في هذا الشكل من أشكال الاحتلال - لا يمكن أن يكون سوى صراع وجود، ولن يقبل المحتل (المفعول به) المحتل (الفاعل) مطلقا حتى يستنزف الطرفان قواهما دون وجود غالب أو مغلوب.

الأندلس بين الدّين والسّياسة

قد لا يقبل مناصرو الإسلام السياسي هذه الفكرة، وسيصرون على أن الإسلام هو الذي ضمن نجاح هذه التجربة الإنسانية الفريدة. لكن الإسلام كان موجودا ولم يمنع صراع الأمويين والعباسيين حتى قضى الآخر على الأول، وكان موجودا ولم يمنع سقوط بغداد عاصمة الخلافة قبل سقوط الأندلس بقرنين، ولم يصمد نظام الإسلام السياسي طويلا في صقلية وكريت وجزر المتوسط الصغيرة رغم التنوع الثقافي والعرقي. ولو أعدنا النظر بتأن وروية في درس سقوط الأندلس، سنكتشف أن الأسباب سياسية في جوهرها، وأن ليس أبو عبد الله الصغير هو الذي أضاع الأندلس، إنما شاء حظه العاثر أن تسلّم يده مفتاح غرناطة للإسبان الذين تحققت لهم كل الشروط السياسية لإقصاء حضارة سادت ثمانية قرون بعد أن تخلى ملوك الأندلس عن النهج السياسي الذي أسس له الخلفاء الأمويون الذين أحسنوا استخدام قيم الإسلام العظيمة لتوطيد ملكهم. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته عندما ذكر أن العصبية السياسية تقوى عندما تتكئ على الدين، وضرب مثلا للتجربة الأموية في المشرق، لكن أمويي الأندلس استغلوها بصورة أذكى.

درس لصنّاع القرار

لعله من المناسب اليوم أن تخرج التجربة الأندلسية من إطار الدرس الجامعي الصرف أو الاحتفاليات الرصينة إلى آفاق أرحب. وعلينا أن نكف عن النظر إليها وكأنها سقطت علينا من عل. وعلى المفكّرين والمختصّين بالدّراسات الأندلسيّة أن يولوا اهتمامًا أكبر وأعمق للبعد السّياسيّ فيها. وعلى صنّاع القرار والنّخب السياسية في العالم أن يسمعوا ويقرؤوا ويعوا الدرس السياسي التقدمي المبكر الذي تقدمه. فهم أحوج ما يكونون لمثله اليوم، وهو أحد مفاتيح الحلول الممكنة للتخلص من مآزقهم التي أصبحت عبئا لا يحتمل على شعوبهم، قبل أن يحاججوا شعوبهم بقدرتها على خلق حوار عرقيّ ثقافي ديني ناجح، ويطلبوا إليهم أن يقاربوا نموذجها. ■



مراجعة نقدية للمساهمات العربية والإسلامية في دراسة العلاقات الدولية*

د. عصام ملكاوي**

تمهيـد

١. عدّ كثير من المفكرين السياسين أن نقطة التحول التي حدثت في مجرى العلاقات الدولية الحديثة كان في عام ١٩١٤ عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، حيث مثلت تلك الفترة بداية العصر الذهبي لازدهار ما يعرف بالدبلوماسية التقليدية، وسياسات توازن القوى، والقانون الدولي. وقد اعتبر الغرب أن هذه الفترة هي فترته، وأنه هو صاحب نظريات العلاقات الدولية التي سادت فيما بعد. ولم يتم التطرق إلى ماقبل ذلك بمئات السنين عندما كان العرب والمسلمون هم سادة الموقف الدولي، وكيف أن علاقاتهم مع الآخر قد بدأت مع فجر الدعوة في الهجرة الأولى إلى الحبشة (اللجوء أو طلب الحماية عند النجاشي)، ومن ثم رسائل النبي ﷺ إلى ملوك الروم وفارس، والمقوقس في مصر، وإلى زعماء القبائل، وكانت بدايات الدعوة إلى إقامة علاقات دولية أممية قائمة على الاعتراف المتبادل، والدعوة إلى دخول الناس في الدين الجديد.

٢. إن الحراك الإسلامي هذا قد اعتبر من بعض المفكرين السياسيين، خاصة الرسائل التي وجهت إلى قوى الجوار، بداية الاشتباك مع الآخر، وإن لم يكن اشتباكًا ظرفيًا، بل امتد ليصبح حلقة اشتباكات مستمرة منذ ذلك التاريخ حتى وقتنا الحاضر. فأين أخطأ العرب والمسلمون؟ وأين أصابوا في ممارسة العلاقات الدولية أو تطويرها؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مراجعة بعض المفاهيم التقليدية في نظريات العلاقات الدولية، وكذلك بعض المفاهيم العربية والإسلامية، وأين يلتقيان ومتى يفترقان. وتيسيراً لهذه الإجابة، فقد رأيت أن أتحدث عن مفهوم القوة في العلاقات الدولية بشكل خاص على اعتبار أنها القاعدة المحورية في العلاقات الدولية. يقول مارتن

* قدمت هذه الدراسة إلى «المؤتمر الأول لقسم الإعلام والدراسات الاستراتيجية: مستقبل دراسات العلاقات الدولية»، الذي عقدته جامعة الحسين بن طلال في معان/ الأردن بتاريخ ٢٠-٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

** باحث استراتيجي في مركز الدراسات الاستراتيجية/أكاديمية الملك عبد الله الثاني للدراسات الدفاعية؛ محاضر غير متفرغ في قسم العلوم السياسية/الجامعة الأردنية؛ عضو المنتدى.

وايت:[1]«إن أهم ما يميز التاريخ الحديث عن التاريخ الوسيط هو تفوق فكرة القوة Might على فكرة الحق Right». وعلى ذلك فعندما نصف العلاقات الدولية بأنها ليست أكثر من صراعات قوة، فإننا لا نبالغ عندما نقول Might is right.

٣. إن فكرة الاختلاف بين العرب والمسلمين وبين العالم الغربي حول دراسات العلاقات الدولية تكمن في الشكل والمضمون. ويمكن بيان ذلك من خلال المقارنة بين النظرية العامة للدولة من حيث النشأة والمفهوم في كل منهما، إضافة إلى مفهوم الحاكمية ومفهومي السلطة والسيادة فيهما، حتى نستطيع أن نحدد مواطن الاقتراب والابتعاد عندهما. ومن ثم نحدد قصور المفاهيم والنظريات عند كل منهما للحد من الفجوة القائمة، أو القدرة على تجسيرها إن أمكن، علمًا بأن المفهوم الأيديولوجي لدى الإسلاميين هو الذي يطغى في تحديد الدور الإسلامي في العلاقات الدولية.

مفهوم العلاقات الدولية

٤. لست هنا بصدد بيان مفهوم العلاقات الدولية لأنه معلوم للجميع، لكني أطرح سؤالاً: هل هناك نظرية عامة للعلاقات الدولية؟ نظرية تحكم الجميع، ويؤمن بها الجميع، ويعملون على سيادتها وتطويرها وتعديلها كلما لزم الأمر؟ أم أن كثيرًا من الدول قد حددت علاقاتها الدولية بناءً على نظريات خاصة بها؟ فما ينطبق على خصوصية دولة في علاقاتها مع الدول الأخرى، قد لا ينطبق بالضرورة على دول أخرى لتقوم بالدور نفسه في علاقاتها الدولية.

وهل نحن بحاجة إلى نظرية توافقية جديدة للعلاقات الدولية؟ بمعنى أن يكون هناك توافق على نوع العلاقة بين الدول. وقد يكون هذا التوافق توافق تراضٍ، أو توافق تضادٍّ، بمعنى عدم التوافق، وسيحكم العلاقة بين الدول.

٥. هناك عوامل مؤثرة في العلاقات الدولية غير السياسات الخارجية، ومن أمثلتها الثورة التكنولوجية، والقدرة على استخدامها؛ وكذلك العوامل الأيديولوجية (المذهبية والعقائدية). وهذه صنفان: إما أيديولوجية تكون من نتاج فكر إنساني خلال مرحلة معينة من مراحل الحياة الإنسانية (أي في تاريخ معين: ماركس، لينين، مثلاً)، أو نتاج دعوى دينية تكون نتاج هدي إلهي رباني قام بتبليغه رسول أو نبي.

٦. الأصل في العلاقات الدولية أن تكون مبنية على المصداقية والمبادئ الأخلاقية العامة. لكن هل يمكن

(١) صبري مقلد، د. اسماعيل: «نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة»، منشورات ذات السلاسل (الكويت: ١٩٨٧)، ص ٢٢.

اعتبار هذه المبادئ الأخلاقية العامة صورة مجردة لا تخضع لتغيرات الظروف الزمانية والمكانية؟ في المفهوم المذهبي أو العقدي الإنساني، إن سمة التغيير خاضعة لتغير الظروف الزمانية والمكانية. أما في المفهوم المذهبي أو العقدي الرباني، فإن سمة التغيير لا تخضع لتغيرات الزمان والمكان لأنها حقائق لا تخضع لعملية التغيير والتبديل، مع الاعتراف بأن هناك أمورًا قابلة للتجديد والتطور في الدين حسب متغيرات الزمان والمكان. لكن الثوابت فيه واضحة لا يمكن تجاوزها، بمعنى أن الاجتهاد لا يكون في مجال النص، أما ما لم يرد فيه نص صريح، فحق الاجتهاد واجب فيه لمتابعة عوامل التغير الزماني والمكاني.

العلاقات الدولية ونظرية القوة

٧. لم تشهد العلاقات الدولية تأثرًا كبيرًا في سيرورتها التاريخية كما شهدته بتأثرها بنظرية القوة وتحولاتها. فقد حظيت هذه النظرية باهتمام كبير، حيث بين (أورجانسكي) هذه التحولات من حيث الأسباب الدافعة لها أو الآثار المترتبة عليها. وقد عرفت هذه النظرية بتحولات القوة Theory of Power Transition، حيث يقول إن تحولات القوة تمر بثلاث مراحل رئيسية هي[٢]:

أ. مرحلة القوة الكامنة Stage of potential power

ب. المرحلة الانتقالية Stage of transitional growth

جـ. مرحلة نضج القوة Stage of power maturity

ويظهر هنا أن أورجانسكي جعل الصناعة والتصنيع المحور الرئيسي للانتقال من مرحلة إلى أخرى، وأنها تشكل الاتجاه الواقعي المنطقي؛ ويقول إن القوة هي القاعدة المحورية في العلاقات الدولية.

٨. بالنظر إلى هذا المفهوم، أين تقع الدول العربية والإسلامية في سلم المساهمة في بناء، أو رفد، العلاقات الدولية؟ إذا نظرنا إلى التصنيع، وهو القاعدة المحورية للعلاقات الدولية، نجد أن العرب والمسلمين في وقتنا الحاضر لا يساهمون في هذا المجال إطلاقًا، بل هم في أدنى السلم بالنسبة لباقي الدول، علمًا بأن مصر في أيام محمد علي كانت متقدمة على اليابان. فأي مشهد نراه اليوم بين اليابان وجمهورية مصر العربية؟ وهذا ينطبق على باقي الدول العربية، اللهم إلا إذا نظرنا إلى العراق كيف أنه دمر من الولايات المتحدة لأنه كان يحاول أن يبني قاعدة صناعية تجعله عاملاً

(٢) صبري مقلد، د. اسماعيل، المصدر نفسه، ص٨٦.

مؤثرًا في العلاقات الدولية، فلم يُعطَ الفرصة لذلك. من هنا صاغ الفكر الإسلامي، بناءً على هذا التوجه، فكره السياسي على أساس مدارس فكرية عملت وتحاول أن تعمل جاهدة لكي تثبت أنها موجودة على أرض الواقع، فانقسمت إلى ما يأتي:

أ. مدرسة الصبر: وتمثلها جماعة الإخوان المسلمين.

ب. مدرسة التمكن: وتمثلها حركة حماس وحزب الله.

جـ. مدرسة الثورة والخروج: وتمثلها إيران وحزب التحرير.

بالمقارنة مع ما ورد في الفقرة (٧) أعلاه، نرى أن التوجه نحو القوة هو المحور الرئيسي، لكن بأبعاد وأفكار مختلفة. أما الدوافع والأهداف، فهي واحدة، ألا وهي الوصول إلى الحكم والتأثير في القوة الدولية الفاعلة، إما بالمشاركة بالتساوي، أو درء الخطر، أو المنافسة وبناء التوازن الاستراتيجي.

لذلك كانت المنافسة وأحقية إلغاء الآخر هي العامل الأساسي المسيطر في الفكر السياسي عند كل طرف، فبدلاً من بناء العلاقات الدولية القائمة على الاعتراف المتبادل واحترام حقوق الغير، نشأ الخلاف والاختلاف حتى وصلت الأمور إلى درجة ليس فقط الإقصاء، بل الإلغاء، أو بأقل تقدير، الدمج والاحتواء والذوبان. وهذا شكل في الفكر العربي والإسلامي حالة من ردة الفعل وجدت فقط في أذهان الشعوب ورجال الفكر وبعض الأحزاب، ولم تجد لها المكانة اللائقة في الفكر السياسي لدى الأنظمة العربية، أو بعض الأنظمة التي تدعي بأنها أنظمة إسلامية. فخسرت بذلك القدرة العربية في أن تكون عاملاً مساعدًا أو مساهمًا في تطوير العلاقات الدولية لأنها وجدت نفسها محاربة وفي حالة مواجهة مع الغرب، فكان لزامًا عليها عمل ما تراه مناسبًا، بغض النظر عن مدى صحته أو خطأه للإبقاء على نفسها ولو حية، أو مجرد أنها موجودة على أقل تقدير.

٩. هذه المفارقة بين ما لدينا الآن، وما لدى الآخر (الغرب) بصفة عامة، شكلت عاملاً رئيسيًا في قبول حالة التحدي. هذا القبول، الذي فرض نفسه فكريًا على العرب والمسلمين من أجل إثبات الذات وإنكار البديل الوافد، أطلق الفكر السلفي، أو الأصولي، أو المتطرف، ليس رغبة في التطرف بقدر ما هو إثبات القدرة على الرد. فكان الجواب الابتعاد عن تجسير الفجوة بيننا وبين الآخر، وأن ما يترتب على العلاقات الدولية الحالية لا يحترم الخصوصية العربية والإسلامية. فقام رجال الفكر العربي والإسلامي بطروحاتهم القومية والإسلامية مقدمين البديل وليس الشريك، بمعنى رفض كل ما هو غربي على اعتبار أنه معاد قوميًا وإسلاميًا للعرب والمسلمين، واستنهضت

الهمم لدى هؤلاء المفكرين لبناء الدولة القومية، أو الدولة الإسلامية، بناءً على معايير مختلفة عما هو قائم دوليًا. وبدأت حالة الاستبعاد والإقصاء والمناكفة، وتخلف العرب والمسلمون في تقديم طروحاتهم، مع الإقرار بأن ما لديهم من مخزون فكري سياسي في مجال العلاقات الدولية يشكل إثراءً لهذه العلاقات، وليس انتقاصا منها. إلا أن القصور الذاتي في توضيح ذلك مرده إلى عدم وجود القدوة أو النموذج الحالي لديهم حتى يمكن أن يقاس عليه، بل معظم ما يطرح هو نماذج تاريخية سادت ثم بادت.

العرب والمسلمون في العلاقات الدولية

١٠. إن البحث عن موقع العرب والمسلمين في العلاقات الدولية لتحديد مساهماتهم في تطوير هذه العلاقات وتعزيزها يحتم علينا العودة إلى نظرية تحول القوة التي تبناها أورجانسكي، حيث اعتبر أن العلاقات الدولية القائمة على معياري القوة والقناعة تساعد على استقرار السلم والأمن الدوليين. إذًا، فالعلاقات الدولية القائمة على التوازن والاحترام المتبادل وعدم التدخل بشؤون الآخرين هي الأساس في بناء سلم وأمن دوليين. لكن إذا نظرنا إلى أن ذلك لا يتحقق إلا إذا كانت هناك قوة وقناعة عند الدول أطراف معادلة العلاقات الدولية، نستطيع أن نفهم ماذا يحصل اليوم في عالمنا من فوضى انعدام للأمن والاستقرار. من هنا نلاحظ أن أورجانسكي قسم الدول بناء على معياري القوة والقناعة والسلوك لدعم السلم الدولي أو المضاد له إلى فئات:

أ. فئة الدول القوية والقانعة Powerful and satisfied. فالنظام الدولي هنا محكوم في المقام الأول بعلاقات القوة والكيفية التي تتوزع بها بين أطرافه، وأن الفرق بين الدول المسيطرة Dominant nations والقوى الكبرى في النظام الدولي لا يتمثل فقط في اختلاف المقدرة على التأثير في سلوك الدول الأخرى، وإنما في حجم المزايا التي تؤول إليهم من وراء انتسابهم لهذا النظام. فإذا نظرنا هنا إلى موقع العرب والمسلمين في هذه الفئة، فإننا لا نجدهم أبدًا، بمعنى عدم وجود دولة عربية أو إسلامية قوية وقانعة. وإذا نظرنا أيضًا إلى سلوك الدول الأخرى في هذه الفئة، فإننا نراه سلوكًا مغايرًا لما يجب أن يكون عليه في دعم السلم والأمن الدوليين وتحقيق علاقات دولية نموذجية، بل نراه سلوكًا مضادًا، ومن ثم يخلق طرفًا مضادًّا له أيضًا من دول ليست في فئته، وهذه أول حالة من حالات عدم المساهمة في بناء علاقات دولية نموذجية وتطويرها.

ب. فئة الدول القوية وغير القانعة Powerful and dissatisfied. وهي الدول غير القانعة بالوضع الدولي القائم، وهي تشكل التعدي الأول للدول المسيطرة، أو لتحالف القوى الكبرى والمسيطرة

على النظام الدولي، وهدفها تبديل معالم ذلك الوضع. وهذا النوع من الدول غير القانعة عادة ما تضاعف إمكاناتها الفعالة من القوة. وإذا نظرنا إلى موقع العرب والمسلمين في هذه الفئة، فإننا لا نكاد نجد هنا أية دولة عربية أو إسلامية باستثناء الباكستان وإيران. وهذه الفئة من الدول هي التي تسعى إلى تحقيق التوازن الدولي بالوصول إلى القناعة وبناء علاقات دولية متوازنة، إلا أن دول الفئة الأولى القوية والقانعة تعمل جاهدة على منع هذه الفئة من الدول باللحاق بها. لذلك يبقى التنافس وعدم الاستقرار قائمًا بينهما، ما يؤثر سلبًا، ويساهم في خلق التوتر وعدم الاستقرار. وأقرب مثال على ذلك إيران الآن، واحتواء الباكستان وجعلها أداة طيعة في يد الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب، وإلا فالثمن سيكون باهظًاعلى الباكستان أن تدفعه مقابل رفض هيمنة أمريكا على سياستها واستراتجياتها في المنطقة.

جـ. فئة الدول الضعيفة والقانعة Weak and satisfied. وهي الدول التي تقبل باستمرار الأمر الدولي القائم لأنه يتيح لها بعض المزايا التي تشك في إمكانية حصولها عليها في ظل وضع دولي مختلف. وهذه الفئة تُعدُّ أكثر الدول مسالمة في النظام الدولي. فإذا نظرنا إلى الدول العربية والإسلامية في هذه الفئة، فإننا نجد كثيرًا منها، وقد سلَّمت بعدم وجود القدرة على بناء كيانها ضمن معياري القوة والقناعة، واقتنعت بأنه لا حول لها ولا قوة.

د. فئة الدول الضعيفة وغير القانعة Weak and dissatisfied. وهي تضم عددًا كبيرًا من دول العالم التي تقبع في قاعدة الهرم الدولي لعلاقات القوة. وهذه الدول بضعفها الشديد تكون مجالاً للنهب والاستغلال طبقًا لما تمليه مصالح القوى الكبرى. وإن هذه الحقيقة بالذات تخلق الشعور لدى الدول المسيطرة وحلفائها بالرضى الدولي القائم، لكنها بالمقابل تخلق الشعور بعدم الرضى لدى الدول المسيطر عليها، ومن ثم يشكل هذا الشعور بؤر توتر واحتقانات تنتظر من يبعثها من مرقدها لتبدأ دورة عنف جديدة بين هذه الفئة والفئة الأولى القوية والقانعة. وإذا نظرنا إلى الدول العربية والإسلامية في هذه الفئة، فإننا نكاد نجد معظمها، إن لم تكن كلها، وهي ضعيفة وغير قانعة، وتحاول أن تفلت من عقالها، دفاعًا عن ثرواتها المنهوبة ودمائها المسكوبة وكرامتها المهدورة. وإن ما يلفت النظر هنا أن قوى الممانعة في هذه الدول هي قوى شعبية وسياسية حزبية، وقليل جدًا من الأنظمة السياسية فيها يدعم موقف هذه القوى. وهذا ينبئ بمستقبل غير مستقر ولا آمن، وعلاقات دولية متوترة.

المفاهيم السياسية عند العرب والمسلمين

١١. لا شك أن العلاقات الدولية والمساهمة فيها لتعزيزها أو تصويب مسارها تحتاج إلى إعادة قراءة أو تعريف جديد للمصطلحات المستخدمة لأن كثيرًا من اللغط الذي يثار بين الحين والآخر يكون

ناجمًا عن سوء فهم المصطلحات من حيث القراءة أو الاستخدام. وهذا ما حصل فعلاً ما بين العرب والمسلمين أنفسهم أولاً، وما حصل بينهم وبين الآخر (الغرب) ثانيًا. فكيف كان ذلك؟

أ. لقد بدأت تفاعلات العلاقة بين العروبة كقومية، والإسلام كدين، تتبلور بشكل واضح المعالم عندما استيقظت دواعي الاستجابة للتحدي الاستعماري. وإن تتبع المسار التاريخي لحركة انتشار الإسلام هو الذي يكشف لنا عن مدى العلاقة بين العروبة والإسلام في كل مرحلة من مراحل هذا المسار التاريخي، وعما إذا كانت حركة انتشار الإسلام في كل مرحلة من هذه المراحل قد جاءت لحساب العروبة أو على حسابها. في هذا المجال نجد أن هناك رأيين: الأول يرى أن الإسلام هو في الحقيقة دين قومي عربي، والثاني يقول إن الإسلام قوة توحيدية جديدة حلت مكان القومية، وأزالت كل الفروق بين المسلمين عرباً كانوا أو غير عرب. وكلا الرأيين فشلا في رسم أي فاصل جدي بين الإسلام السياسي والقومية العربية[٣].

ب. بالنظر إلى هذين الرأيين نجد، من وجهة نظري، أن بذور الفرقة والاختلاف بين الفكرين القومي العربي والديني الإسلامي قد زرعت وحاول كل رأي أن يوثق ويؤكد لصالحه، ما اضطرهم لأن يكونوا محل دفاع عن آرائهم وهجوم على آراء غيرهم، ويحشدوا الأدلة والبراهين التي تدعم كل رأي ضد الرأي الآخر وتساعده. وهذا أدى بدوره إلى بروز الإشكالية في العلاقة بينهما والاستسلام لها، ومن ثم تأخرهم وعدم قدرتهم على المساهمة مع غيرهم في تأطير وتأسيس وتعزيز نظرية العلاقات الدولية التي تساعدهم وتخدم أغراضهم لأن ما يفرق بينهما أصبح أكثر مما يجمع بينهما. فاستغل الغرب (الآخر) هذا الخلاف ودخل بطرقه المختلفة يزيد الشرخ بينهما، واستسلم الطرفان لسياسة هذا الآخر وخضعا له، ولم يقدما شيئًا يسجل لهما في تطوير العلاقات الدولية ودراستها.

جـ. عند البحث في مفهوم الدولة عند المسلمين وغيرهم، نجد أن هناك إشكالية قديمة جديدة ومتجددة لاختلاف مفهوم الدولة بينهم، واختلافهم حول مصطلحات السلطة والسيادة في هذه الدولة، وهذا ما يمكن أن نجمله بالآتي[٤]:

(١) نظر الغربيون للدولة نظرتين، إحداهما أن الدولة نظام سياسي اجتماعي ضروري لتحقيق المصلحة، والانتفاع بجهود الأفراد وتعارفهم. وثانيتهما أن الدولة وضع قانوني يصل بالأفراد إلى حياة الجماعة المنظمة، فهي شخص معنوي يستمد وجوده من القانون، وله حقوق وعليه التزامات، والأفراد في هذا الوضع يتبعون القانون في حياة الجماعة.

(٣) ملكاوي، د. عصام: «الإسلام السياسي بين الفكر الغربي والواقع العربي الإسلامي»، رسالة دكتوراة غير منشورة، ص ١٢٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٢) أما الإسلاميون فقد نظروا للدولة بنظرة واحدة قائمة على أمرين، أحدهما العقيدة الإسلامية، بمعنى أن تؤسس هذه الدولة بموجب العقيدة الإسلامية لتلبية احتياجات الناس. وثانيهما أجهزة الحكم المنبثقة عن هذه العقيدة واللازمة لتنفيذها، وإن تشابهت في التسمية مع الأجهزة الغربية، إلا أن أسلوب العمل ومرجعيته مختلفة تمامًا.

لقد شكلت كلتا النظريتين للدولة ومفهومها نقاط اختلاف بين الفريقين أثر في العلاقات بينهما، علمًا بأن ما هو قائم على أرض الواقع من دول عربية أو إسلامية لا ينطبق مع هذا الوصف أو ذاك. فالوضع القائم في الدول العربية والإسلامية هو وضع فُصِّل على أساس نظام الحكم الذي يتولى السلطة في هذا البلد أو ذاك، وهذه نقطة أخرى من نقاط الضعف العربي والإسلامي في المساهمة في العلاقات الدولية ودراساتها.

د. أما مفهوم السلطة والسيادة في الدولة عند العرب والمسلمين وعند الغرب، فهذا موضوع طويل لا مجال لبحثه هنا، فمرجعية كل طرف في هذا الموضوع مختلفة عن مرجعية الطرف الآخر. وهذا يثير مسألة ثيوقراطية الدولة أو ديمقراطيتها، ولمن السلطة والسيادة ومن هو صاحبها، ومفهوم الحاكمية والحكم الرشيد، وموقع الشورى والديمقراطية لدى كل طرف؛ والكل يحاول جاهدًا أن يؤطر لصحة مقولته ويؤسس لها، وتبقى النتيجة النهائية في أن التوافق بينهما يصبح محل تساؤل.

١٢. في ظل هذا الاختلاف في المفاهيم والمصطلحات السياسية، خاصة بين العرب والمسلمين وبين الغرب، نلاحظ أن الهوة بينهما تتسع وتتباعد، بل على النقيض من ذلك، ذهبت في تباعدها هذا إلى حد الاقتتال وشن الحروب بين دول ودول، وبين دول ومنظمات. وليست أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من غزو أفغانستان واحتلالها، وغزو العراق واحتلاله، إلا نموذجًا جديدًا في تطور العلاقات الدولية بين الدول القوية والقانعة، والدول الضعيفة والقانعة، أو غير القانعة.

١٣. إن ما يمكن النظر إليه عربيًا وإسلاميًا للمساهمة في دراسة العلاقات الدولية لا يستقيم إلا إذا بدأنا بامتلاك القوة والتصنيع، وإذا أصبحت إرادتنا السياسية إرادة ذاتية مستقلة، وثرواتنا ملكًا لنا لا لغيرنا، وإذا كانت ثرواتنا تحت تصرفنا، وليست بيد غيرنا. وعليه فإنني أجزم أننا لا نملك أن نكون قادرين، أو لنا حق القدرة للتفاعل الدولي، أو فاعلين في بناء علاقات دولية أو حتى مساهمين فيها، ما دمنا على هذا الحال. وحتى ننهض لامتلاك القدرة على التصنيع، وامتلاك القوة بكل معانيها، نحتاج إلى كثيرٍ من الوقت. فحتى ذلك الوقت أستودعكم الله على أمل أن نستطيع ذلك. ■

مقالـة مترجمـة

للدفاع بفاعلية عن السلام يجب معالجة التشويهات الإعلامية*

م ة. سوسن جبر أيوب خليل**
أ. كورنيليس هولسمان***

الإعلام سلاح ذو حدين؛ إذ يمكنه النهوض بدور في التقريب بين أناس من حضارات وأديان مختلفة، وكذلك تعميق الانقسام، وتقوية نزعة التنميط، وتضخيم الإساءات والاتهامات الزائفة، والتحريض على السلوك العنصري والمتطرف، وتقويض جهود بناء أسس التسامح والسلام. وهذه أمور تزيد من التوترات، وتباعد بين المجتمعات والأمم، وتدفع الناس إلى الاعتقاد بوجود صدام بين الحضارات؛ بل إنها تمهد الطريق للعنف، كما سنرى فيما يلي مع بعض الأمثلة التي وفرها مركز تقارب الثقافات والترجمة الذي يتخذ من القاهرة مقرا له.

كثيرا ما نسمع أن علينا أن نهمل مثل هذه التشويهات الإعلامية ولا نلقي لها بالا. وهذا يشبه سلوك النعامة. فالتشويهات الإعلامية ليست عديمة الأذى، وحتى لو كانت الآثار الأولية ضئيلة، فيجب ألا نمنحها أي فرصة للنمو تؤدي إلى إيمان الناس بالانقسام مابين الخير والشر، ما قد يخلق بعدئذ صداما بين الحضارات. ويجب أن نتجنب خلق نبوءة تحقق ذاتها، وذلك من خلال التعامل مع المشكلات بصورة سليمة في مرحلة مبكرة.

إن الأمثلة الثلاثة التي سنوردها هنا هي:

١. القصص التي تجعل الناس يعتقدون أن المسلمين يستهدفون المسيحيين، خالقة بذلك شعورا من الإشفاق على الذات بين المسيحيين والغضب بين المسلمين باستخدام الإشاعات، والمزاعم غير المؤكدة، وإهمال السياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية.[١]

* ورقة قدمت إلى المعهد الأوروبي للبحر الأبيض المتوسط في برشلونة/ إسبانيا؛ ونُشرت في حزيران/يونيو ٢٠٠٧ بجريدة **Quaderns de la Mediterrània**, nr. 8. Special Dossier «Communication and Mutual Perceptions». Dir. Maria-Angels Roque, Institut Europeu de la Mediterrània, Barcelona 2007. *http://www.iemed.org/publicacions/aquaderns.php"*.
(أنظر لقاءات شهرية؛ ص٥٨من هذا العدد). ترجم هذه المقالة من الإنكليزية أ. صلاح حزين، مساعد مدير الدراسات والبرامج في المنتدى. وراجع الترجمة أ. سمير أبو عجوة، مدير التحرير، مساعد مدير الدراسات والبرامج في المنتدى، والمهندسة سوسن خليل.

** رئيسة مركز تقارب الثقافات والترجمة في القاهرة (CIDT).

*** مدير مركز تقارب الثقافات والترجمة في القاهرة ورئيس تحرير **تقارير العرب والغرب** *(www.cawu.com)*.

(١) تعبير الإشفاق المسيحي على الذات مأخوذ من مقابلة مع المطران منير، AWR، ٢٠٠٤، الأسبوع ٣٦، المقالة رقم ٢٨.

٢. الصحافة الغربية المتحيزة التي خلقت جوا مسمومًا بين المسلمين والمسيحيين في «الكشح»، وهي قرية في صعيد مصر تحوَّل فيها نزاع محدود إلى مذبحة استقطبت اهتماما عالميا، وتسبب في اعتقاد الرأي العام أن المسلمين كانوا يستهدفون المسيحيين.

٣. استخدام الإعلام لأغراض متعمدة بهدف خلق توترات لتحقيق مآرب أخرى. ومثال ذلك استخدام الإخوان المسلمين للمشاعر الدينية لإسقاط مرشح مسيحي في الانتخابات البرلمانية.(٢)

١) الإشفاق المسيحي على الذات وغضب المسلمين:

إن المشكلة في الإعلام الغربي، وغالبًا ما تصدر عن منشورات مسيحية صغيرة، هي الاستيعاب غير النقدي للقصص التي يرويها أفراد مسيحيون حول اضطهادهم، من دون إدراك أو رغبة في الاعتراف بأن هذه القصص قد تكون مدفوعة بأهداف أخرى، مثل الرغبة في الهجرة، أو محاولة الحصول على دعم مالي من الغرب، أو الضغط سياسيا على السلطات المصرية تحت الاعتقاد بأن ذلك قد يساعدهم في تحقيق أهدافهم. وعادة ما تعكس القصص مشاعر مسبقة من العداء المتأصل للمسلمين، وتُعمِّق مثل هذه المشاعر. ومعظم القصص التي تروى عن مسلمين يُجبرون فتيات مسيحيات على اعتناق الإسلام تقع ضمن هذا السياق. مثل هذه القصص تحدث أثرا مرتدًّا. فتُصدِر ردودًا غاضبة من المسلمين قد تنعكس بسهولة على علاقاتهم مع المسيحيين الآخرين الذين لا عَلاقة لهم بهذا النوع من التغطية الصحفية. إن المزاعم الزائفة أو المضخمة خطرة لأنها تضعف مشاعر التعاطف لدى الناس تجاه القضايا الحقيقية المهمة، كما حدث مع تقارير صحيفة **وطني** حول بعض المسيحيين الذين لم يتمكنوا من الحصول على بطاقة هوية مسيحية، أو بعض المسلمين المحليين الذين يحاولون إبعاد مسيحيين عن أرض سيطروا عليها بوضع اليد بعد أن كانت مستنقعات وهم الذين قاموا بزراعتها لسنوات.(٣)

٢) الصحافة الغربية المتحيزة:

قامت الصحافة الغربية المتحيزة بدور رئيسيّ في التفريق بين المسلمين والمسيحيين في الكشح. ففي العام ١٩٩٨، تسبب لعب القمار وتناول الكحول في مقتل اثنين من القرويين المسيحيين، وتلا ذلك تحقيق للشرطة استخدمت فيه أساليب فظة عادة ما تستخدم في التعامل مع الطبقات

(٢) يتضمن أرشيف EDC تقارير مختلفة لـ تقارير العرب والغرب حول مزاعم زائفة لفتيات مسيحيات أجبرن على اعتناق الإسلام، وحول الكشح واشتباكات الإسكندرية ومئات الملخصات لمقالات إعلامية حول هذه الموضوعات.

(٣) **وطني**، ٤ آذار/مارس ٢٠٠٧، ص ١٣؛ **وطني الدولي**، ٤ آذار/مارس ٢٠٠٧، ص١. ولدينا ملف كامل لهذه القضية، وقد تحدثنا مع كاهن هذه القرية الصغيرة.

الاجتماعية الدنيا. ولم تكتف صحيفة **صنداي تلغراف** وبعض وسائل الإعــلام الغربية الأخرى بانتقاد أساليب التحقيق هذه، بل نشرت تقارير معتمِدة على مزاعم عاطفية أحادية الجانب. وقد تسبب ذلك في ردود غاضبة في وسائل الإعلام المصرية جعلت الناس يعتقدون أن الإعـلام الغربي يستهدف المسلمين، وأن الأقباط قد نسجوا قصصا زائفة تناسب هذا الهدف. وقد خلقت هذه التقارير مناخا سبب توترات طائفية جديدة في الكشح أدت إلى سقوط ٢٠ قتيلا مسيحيًا وقتيلاً مسلمًا واحدًا في شهر كانون الثاني/يناير من العام ٢٠٠٠. كما كان لتلك التقارير تداعيات كبيرة خارج مصر جعلت نسبة كبيرة من الغربيين يعتقدون أن ذلك كان مثالا على استهداف المسلمين للمسيحيين، مُبسِّطين بذلك قضية معقدة، ومُدعِّمين التحيز الغربي ضد الإسلام.

٣) خلق التوترات المتعمدة:

في شهر تشرين الأول/أكتوبر من العام ٢٠٠٥، شهدت مصر نزاعا طائفيا آخر خلقته وسائل الإعلام في منطقة محرم بك في الإسكندرية. فكان بعض المسيحيين، قبل ذلك بعامين، قد صوروا بالفيديو على قرص مدمج مسرحية كنسية تحذر المسيحيين من اعتناق الإسلام، باستخدام وصف كاريكاتيري للإسلام. كان القرص محـدود التوزيع، بشكل رئيسي في الكنيسة المحلية، ولم يثر مشكلات طائفية. لكن خلال الحملة الانتخابية للفوز بمقعد برلماني عن دائـرة في الإسكندرية، اكتشف بعض المواطنين، الذين اعتُقد على نطاق واسع أنهم كانوا من مناصري الإخـوان المسلمين، أمر القرص المدمج، ورأوا فيه فائدة لإثارة مشاعر عداء للمرشح المسيحي. وقد زُوِّدت صحيفتا **الأسبوع والميدان**، وهما مطبوعتان مصريتان صغيرتان، بنسخ من القرص، ما تسبب في مقالات -تضافر نشرها مع التوزيع المتعمد للقرص المدمج في المنطقة- أشعلت فتيل أعمال شغب معادية للمسيحيين نتج عنها تخريب مادي كبير وإثارة مخاوف المسيحيين المحليين. ومرة أخرى، فقد كُتبت تقارير عالمية عن هذه التوترات مهَّدت السبيل لهجوم على ثلاث كنائس في شهر نيسان/ إبريل ٢٠٠٦ أسفر عن قتيل مسيحي. وهكذا تعرضت مصر للانتقاد من وسائل الإعلام مرة أخرى.

ماذا يمكن إذًا للقراء في مصر وفي الغرب، ممن لا يعرفون التفاصيل الخاصة بهذه القصص، أن يعتقدوا؟ بالطبع، سيرى المسلمون المصريون أن الغرب يتعمد التركيز على أحداث بعينها لأنها تغذي مشاعر التحيز ضد الإسلام والمسلمين؛ وسيرى المسيحيون المصريون أنهم مستهدفون، ويرى الغربيون، كعادتهم، أن الإسلام والعنف مترابطان. إن هذه الصور المشوهة تهمل أن حقوق المسيحيين المصريين قد تحسنت كثيرا خلال القرنين الماضيين؛ إذ تحول المسيحيون من أقلية محمية إلى مواطنين متساوين مع المسلمين المصريين، على الرغم من المعارضة الموجودة بالتأكيد في بعض الدوائر في المجتمع.

كما إن الصور المشوهة لا تعكس الكيفية التي أدار بها المسلمون والمسيحيون نضالهم المشترك ضد الاستعمار البريطاني، وضد الاحتلال الإسرائيلي لصحراء سيناء، والكيفية التي يعيش بها الناس حياتهم اليومية معًا. إن الأحداث رهيبة، وهي تحتاج تعاملا مناسبًا؛ لكنها يجب ألا تقدم على أنها النمط السائد. فهذا لا يقود إلا إلى تعميق الآثار السلبية التي كانت الأحداث قد أوجدتها.

يتضح من الأمثلة السابقة أن التوترات الطائفية تتغذى، إلى حد كبير، على التغطية الإعلامية الرديئة، وعلى إثارة المشاعر، والتركيز على التوترات من دون اعتبار للسياق، وتضخيم القضايا، والاستشهاد عادة بتصريحات غاضبة وعاطفية لأشخاص مجهولين لا تستند إلى حقائق. لكن، هل يهتم هؤلاء الصحفيون أو النشطاء فعلاً بالحقيقة؟ ألا يحميهم الاستشهاد بأقوال آخرين، وهم أنفسهم يخفون، مرتاحين، آراءهم الحقيقية خلف ما يقول هؤلاء؟ لو أنهم كانوا يهتمون حقا، لحاولوا البحث بشكل أعمق فوجدوا حقيقة أكثر تعقيدا من القصة التي رووْها. إن قصص التمييز والاضطهاد تقوي مشاعر كثير من المسيحيين المصريين بأن المشاق التي يعانون منها جرَّاء الفقر والظلم الاجتماعي، اللذين يتأثر بهما المصريون جميعا، مرتبطة بمعتقدهم الديني. وهذا الاعتقاد بالتعرض للاضطهاد والتمييز يُنقَل إلى المراسلين الصحفيين؛ ما يزيد في تغذية قصص الاضطهاد. إن ذلك لا يساعد في تعزيز أواصر العلاقات الاجتماعية الجيدة.

وإن التخريب الذي تسببه هذه القصص لا يقتصر على مصر وحدها، فهي تعمق المشاعر المعادية للمسلمين في الغرب، كما أنها تؤثر في العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في أوروبا مثلا.

لماذا تظهر هذه التوترات حول المجتمعات الدينية دائمًا؟ إن المجتمع المصري شديد التدين. وهكذا، فإن ربط المشكلات الاجتماعية والإعلام المشوَّه بالدين يثير المشاعر العميقة. وقد أعد مركز تقارب الثقافات والترجمة تقريرا سجاليًّا يظهر كيفية المساجلات العنيفة التي يقوم بها أحيانًا المسيحيون في مصر ضد المسلمين، والعكس بالعكس. [أنظر *www.cawu.org*، ثم اختر «أمثلة على تقارير AWR» والتقرير السجالي]. إنهم، بدافع الشعور بالإساءة، يلقون باللائمة على بعضهم بعضا عموما بسبب مثل تلك التقارير الإعلامية الزائفة والمسيئة التي لا تخلق سوى مزيد من الغضب. إنها حلقة مفرغة يجب كسرها.

يمكننا جميعا أن نفعل شيئا. فلنقرأ التاريخ والعلوم الاجتماعية، ولننظر بعين الشك إلى التغطية الإعلامية ولا نقبل اللغة التحريضية المسيئة بوصفها، كما يقال، حرية تعبير. إن حرية التعبير إنجاز عظيم يجعل من الممكن تقديم تنوع واسع في الآراء للجمهور. كما يُمكّن من بيان أننا نختلف، وتحديد ما نختلف عليه، وسبب اختلافنا بوضوح. لكن اللغة المسيئة تسبب الألم، وتثير الغضب، وتقطع التواصل. وأسوأ من ذلك كله أن ترافق هذه اللغة المسيئة

أكاذيب وتشويهات متعمدة.

يسمع المرء في البلدان العربية دعوات لفرض الرقابة، وسن قوانين تقيد حرية الصحافة، واعتماد أساليب شديدة القسوة، ذلك أكثر مما هو عليه الحال في الغرب. ويؤمن آخرون بممارسة الضغط على سلطاتهم المحلية أو السلطات الخارجية من خلال التظاهر، وأسوأ من ذلك، مثلما رأينا في أزمة الرسوم الكاريكاتيرية الدنماركية. إن كثيرا من الغضب مرتبط بعدم تعوُّد الناس على الهجوم على ما يؤمنون بأنه مقدس، وكذلك لأنهم عادة لا يعرفون كيف يردُّون، ويبدو أن الهبّات العنيفة هي الطريقة الوحيدة للتنفيس عن غضبهم. وهكذا، فإننا نحتاج إلى الوعظ بأن ردودًا مختلفة فعالة هي ممكنة أيضًا.

إن التحيزات الإعلامية، بغض النظر عن نوعيتها، يجب عدم تجاهلها، بل يجب معالجتها. ويزعم العرب عادة أنهم بلا قوة في ضوء المكائد الغربية والإسرائيلية التي لا تقهر. ويعلق بريان وِتاكر *Brian Whitaker* على الاتهام الموجه لإنتقاء ترجمات بعينها مختارة من الإعلام العربي، والذي هدفه التشويه، وهذا يقوم به معهد الشرق الأوسط للبحوث الإعلامية *Middle East Media Research Institute*، قائلاً: «ليس صعبا أن ترى ما يمكن للعرب أن يفعلوا لمواجهة ذلك. فيمكن لمجموعة من شركات الإعلام العربية أن تعمل معًا لنشر ترجمات لمقالات تعكس محتوى صحفهم بصورة أدق. ولا شك أن ذلك لن يكون خارجا عن إمكاناتهم. لكنهم، كالعادة، قد يفضلون الاسترخاء والتذمر من مكائد عملاء المخابرات الإسرائيلية المخضرمين.» (**الغارديان** *The Guardian*، ١٢ آب/أغسطس ٢٠٠٢).

لقد بدأ مركز تقارب الثقافات والترجمة في معالجة هذه التحيزات من خلال إعداد ملخصات منتظمة ونقدية للصحافة، وكذلك من خلال توفير المعلومات وتبادلها:

- إعداد ملخصات منتظمة لوسائل الإعلام مترجمة بالإنجليزية عن العربية لكسر النمطية في وسائل الإعلام الغربية، وإعطاء القارىء الغربي وسيلة للوصول إلى مختلف الآراء المتنوعة في العالم العربي.
- تطوير مركز التوثيق الإلكتروني بتزويده بآلية بحث على شبكة الإنترنت في آلاف المراجعات والتقارير الإعلامية.
- إنشاء شبكة إلكترونية للتفاهم العربي الغربي: توفِّر تجمعًا للمصادر المتاحة التابعة للمنظمات والناس ذوي التفكير المشابه.
- مقالات نقدية للإعلام: نظام مراقبة لوسائل الإعلام في محاولة لثني المؤسسات الإعلامية والأفراد عن الذهاب بعيدا في تحيزاتهم.
- وضع برامج تدريبية، وكذلك للطلاب، عابرة للحدود الثقافية.

يجب أن لا نقف جانبًا ونصرخ أن هناك تحيزات يمينًا ويسارًا. يجب أن نكون مدافعين عن السلام من خلال تعليم قيم التفاهم والاحترام بين الناس من مختلف الثقافات. ■



بعد فوزه بجائزة الشيخ علي بن عبد الله الوقفية العالمية القطرية في الفكر الإسلامي

المفكر الأردني **عمران سميح نزال**

في حوار خاص لمجلة **المنتدى**:

* **أنا مع الحداثة؛ لكن أي حداثة؟**
* **التراث كنز ضخم من نتاج اجتهاد بشري سابق، ونحن علينا إنتاج فكري معاصر.**
* **الله لم يطالبنا بأن نستمد عبادته من التراث.**

حاوره في عمّان أ. **تيسير النجار***

فاز المهندس الأردني عمران سميح نزّال بمسابقة «جائزة الشيخ علي بن عبد الله الوقفية العالمية» التي تأسست في دولة قطر، والتي تعتبر أكبر مسابقة عالمية تهتم بالفكر الإسلامي. وكان موضوعها لهذا العام «دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل».

المسابقة التي انطلقت منذ ست سنوات يمولها المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية بإدارة الأوقاف في دولة قطر، وتبلغ قيمة جائزتها الأولى مئة ألف ريال قطري. وقد أجمعت لجنة الجائزة المكونة من ثلاثة أعضاء يحملون درجة الأستاذية على أن المهندس عمران نزال نال أعلى الدرجات، وقد التزم بمحاور البحث ومقاصد الموضوع واشتمال البحث على مسح واسع للمكتبة التراثية، وامتاز بالوضوح.

السيد نزال من مواليد مدينة مأدبا في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو حاصل على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من جامعة «سرايبفو» عام ١٩٨٣. له مؤلفات كثيرة في الفكر الإسلامي منها **المقدمة في دستور المعرفة والعلوم - فهم الإنسان**، و**الأحرف السبعة ومذاهب القراء** و**تنوير المسار على فصل المقال لابن رشد**، و**المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن الكريم**، وغيرها. وهو عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، ويعمل حاليا مدير الدراسات والنشر في دار القراء.

في هذا الحوار يذهب السيد نزال إلى أن جميع القرائن تشير إلى أن قضية التراث ستظل أحد هواجسنا الرئيسية في الثقافة العربية وجذورها.

حول فوزه وأفكاره التي نال من خلالها الجائزة الأولى، كان هذا الحوار الخاص معه لمجلة **المنتدى**.

---

* صحافيّ أردنيّ؛ جريدة **الدّستور**.

سؤال ١: من المعروف أنك من الكتاب المهتمين بالفكر الإسلامي. فهل كان دافعك للمشاركة في الجائزة موضوعها «دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل»، أم مكانتها وشهرتها؟

- أنا من المتابعين لموضوعات المسابقة منذ ست سنوات، وكنت أنتظر الفرصة المناسبة للمشاركة. وحين طرح موضوع « دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل» كان محفزي للمشاركة لهذا العام تحديدًا. فقد كانت لدي رؤية في الكتابة فيه منذ وقت قبل أن تعتمده لجنة الجائزة، فتوافقت الرغبة في المشاركة مع الموضوع .

سؤال ٢: هل كانت لديك التوقعات بأن تنال المرتبة الأولى وتنال الجائزة كاملة، خصوصًا أنها تعتبر أكبر مسابقة عالمية في الفكر الإسلامي؟

- نعم، كنت متأكدًا من فوزي. وهذا من إيماني بأن التحكيم سيكون عادلاً، خصوصًا وقد تقيدَّت بالأسلوب المنهجي للبحث ومقاصده، مع الجرأة في البحث. الفوز ليس لي وحدي فقط، بل للذي قام بإنشاء هذا المشروع الفكري الكبير. وأعتبر أن فكرة الجائزة هي بالأساس فوز للفكر الإسلامي الذي نحن بحاجة ماسة للتعامل معه على نطاق واسع وشامل .

سؤال ٣: كان موضوع المسابقة لهذا العام «دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل»، فكيف تعرِّف التراث؟

- الوقوف على تعريف محدد وواضح صعب، مع أني حاولت، كما علقت لجنة المسابقة بأني قمت بمسح واسع في المكتبة التراثية .إلا أني شخصيًّا لم أقف على تعريف محدد للتراث. لكن كثيرًا من المفكرين عرفوه بتعريفات واسعة. لذلك فضلت في البداية أن يكون تعاملنا مع اللغة العربية واضحًا، ويكون التعريف على أسس لغوية صحيحة.

كلمة التراث هي في الأصل جذر لغوي: «ورث يرث ورثة، وهو إرث »، ومن ثم هناك موروث. وهذا يجعلنا نقول التراث والموروث واحد. وقد تعامل الناس على أن التركة عن ميت هي عبارة عن ورثة. وهذا يدل على التعامل مع الأشياء المادية الملموسة . لكن هل يمكن أن يطلق التراث على أشياء معنوية؟ بالتأكيد، إن التراث المعنوي يصلنا بشكل مادي من خلال مخطوط أو صيغة فكرية أو حتى لوحة فنية. أريد أن أركز على نقطة مهمة هي أن التراث يكون في البداية إبداع حي يتحول بعد موت منتجه إلى تراث، وهذا من منظور القيد اللغوي عن ميت. التراث هو الحد الفاصل ما بين الحياة والموت، ففي حالة موت صاحبه ونقله من جيل إلى جيل يصبح تراثاً.

سؤال ٤: تقول إن التراث حد فاصل ما بين الحياة والموت، لكن هناك أشياء من التراث ما زالت متداولة إلى يومنا هذا ؟

- في البداية تكلمنا عن التراث من مفهوم لغوي. ولكن التراث العربي كبير وعميق، لذلك سنتحدث عن التخصيص، التراث الديني الذي تحدثت عنه في البحث. كيف ننظر إلى التراث الديني؟ بمعنى

هل كل ما عندنا من موروث ديني تراث؟ هنا أحببت أن أذكر في الكتاب تعريفًا موضوعيًّا وتعريفًا إجرائيًّا. إن كان التعريف موضوعيًّا، كان ما لدينا من دين ليس عن ميت فهو ليس من التراث. طبعًا القرآن الكريم ليس تراثا، وأيضا البيان النبوي، أي الكلام الموحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل التعليم أيضا لا ندخله في التراث لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف بالبيان، وبيانه للناس من وحي الله سبحانه وتعالى، لذلك فهو ليس في دائرة الاجتهاد البشري. حتى نحدد المسألة أكثر: إن القرآن الكريم مع بيانه النبوي ليس تراثا، وما عدا ذلك من إنتاج فكري إسلامي ينتج عن آلية الاجتهاد هو تراث.

سؤال ٥: إلى أي مدى يتسع التراث؟ وإشكالية التراث من أين أتت؟

- التراث أوسع مدى بالعموم، ويشمل كل شيء. لكن البحث الذي قدمته تخصص بالتراث في الفكر الإسلامي. وهذا يقودنا إلى السؤال: إشكالية التراث من أين أتت؟ هناك مدارس إسلامية تاريخية تريد أن تقيم النهضة على قرارات تراثية على أساس الاجتهاد المنتج تاريخيا. من هنا ظهرت المشكلة مع التوجهات للمعاصرة، حيث أصبح هناك أسئلة تربط بين الأصالة والتجديد والمعاصرة، وكيفية التعامل مع التراث.

التراث إنتاج فكري من اجتهاد المسلمين منذ القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس عشر الحالي. هذا الإنتاج كبير ومتعدد في فهم الدين ومسائل الفقه وأصوله، يدلنا على أن هذا الفكر تراث وميزته أنه ليس معاصرا في إنتاجه، لكنه حي في حاله ويكون له أتباع، وهنا يكون فكرًا إسلاميًّا تراثيًّا.

سؤال ٦: إذاً كيف يتم توظيف التراث إجرائيا من خلال الفكر الإسلامي؟

- هناك علماء فهموا القرآن الكريم والحديث، ومدوناتهم الآن في تفسير الإسلام، وليس هو الإسلام. وهذه الميزة في الأساس في توظيف التراث إجرائيًّا. هذا التعريف يميز بين الإسلام وبين فهم الإسلام الذي هو وحي من عند الله، في حين التراث هو فكر إسلامي أنتجه العلماء وورثناه عنهم. وهذه الورثة هي التراث الإسلامي، ونحن على استحياء نحاول فهم الإسلام ونلجأ إلى فهمهم له من أجل إيجاد علاج لمشكلات الحاضر. وهذا قادنا إلى إشكالية: هل يستطيع التراث، أو الفكر الإسلامي المنتج تاريخيا، أن يعالج مشكلات الحاضر؟ فإن كان الجواب لا، فأين الفكر الإسلامي الذي يعالج؟ لذلك أنا من دعاة التمسك بالتراث، وإنتاج فكري إسلامي معاصر.

سؤال ٧: هل هناك هوة ما بين التراث والفكر الإسلامي المعاصر؟

- قضية الحديث عن هذه الفواصل في الأمور المعنوية أمر ليس سهلاً، فهو ليس محسوسًا. فقد يقول الإنسان التراثي، أو المحافظ، المتمسك بالتراث والفكر الإسلامي المنتج في المدارس التاريخية، إنه متمسك بالإسلام، وهو على حق لأنه متمسك بالاجتهاد لفهم الإسلام. في نظره لا يوجد هوة، بل

الطرف الآخر الذي وجد في القرن العشرين أدخلنا في نوع من الأزمة لأنه أراد أن ينظر إلى الموروث الكلي إسلاميًّا على أنه تراث. هذه النظرية جعلت هناك أزمة كيف ننظر إلى الإسلام على أنه تراث وهو وحي من عند الله. هذه الأزمة هي النظرة غير الدقيقة بسبب الخلط ما بين الإسلام والتراث من جانب أشخاص في بداية القرن العشرين.

سؤال ٨: هل يوجد سوء في نقل التراث من جيل إلى آخر، بمعنى أن التراث أصابه بعض التحريف؟

- ليس هناك خطر على أن يكون التراث أصابه التحريف لأننا نتحدث عن منتج بشري، والله لم يطالبنا بأن نستمد عبادته من التراث. وطالبنا أن تكون عبادتنا من خلال فهمنا للقرآن الكريم، وتعاملنا مع القرآن كمنهج يخرجنا من الهوة إن كانت موجودة، أو الخوف من التحريف، أو خطأ في الاجتهاد. هنا ندخل في المشكلة التي حاولت أن أعالجها في موضوع البحث، وهي أن هناك فرقاً بين التراث والتراثيين. فالتراث هو الكنز الكبير الذي يحتوي الثقافات والأفكار من المنتجات المادية والمعنوية. وميزة الإسلام والمسلمين، مع احترامهم الكافي لهذا الكنز الكبير، أنهم لا يتوقف بناؤهم في الحاضر على هذا التراث، وإنما على الإسلام نفسه. ومن ثم أتت الخطورة في العصر الحديث، وربما أيضا أزمة ليست معاصرة، بل أزمة موروثة لأن هناك مساع كانت في التاريخ لحصر المسلمين في مدارس ضيقة، أو مدرسة واحدة. هذه الفكرة في حصر المسلمين في مذهب فكري واحد، أو مدرسة واحدة، أدت إلى أن يتوقفوا عن إنتاج فكري إسلامي جديد. أقول إن الأمة التي لم تنتج فكرا جديدا هي أمة ضعيفة لأنها كانت تعتمد على منتج فكري سابق. وإن كانت معتمدة على منتج فكري سابق، فهي تتعامل الآن مع أفكار عالجت ماضي بقائها في استعمال هذا المنتج الذي يبقيها في الماضي، في حين أن الأمم الأخرى سعت إلى التقدم. وبقاؤنا في الماضي لم يجعلنا أمة ضعيفة فقط، بل أيضًا متخلفة عن الأمم الأخرى. وهذا ما حدث مع الأمة الإسلامية.

سؤال ٩: كيف تفهم الحداثة؟

- نعم أنا مع الحداثة، لكن أي حداثة؟ لست من المطالبين بالانحراف الفكري للأمة، ولست أيضا من الذين يقفون أمام التطور الفكري الإسلامي. نحن نأخذ الإسلام منهاجًا ثابتًا لحياتنا، وننتج فكرًا تراثيًّا، أو سيتحول إلى تراث، يساعد على نهضة الأمة، مع تمسكنا بالتراث التاريخي والوقوف على الكيفية في معالجته لمشكلات عصره. أريد أن أنوه إلى نقطة مهمة جدا، وهي أننا أمة متقدمة جدا فكريا على الأمم الأخرى، ولدينا تاريخ عريق من الفكر والمنهج والحضارة الإنسانية، ما يساعدنا على أن تتكون لدينا الثقة في بناء حاضر فكري إسلامي يساعد على حل مشكلات العصر، ويكون مرنًا للمساعدة أيضا في مشكلات المستقبل، أي ليس جامدا بحيث تقع الأجيال القادمة في المشكلة نفسها. وهذا يقودنا إلى التطلع في العمل على إنتاج الفكر الإسلامي المشترك. وكما هومعروف، فإن المفكرين هم نبض عقل الأمة. لذلك نتمنى أن يكون هناك برلمان فكري عربي إسلامي يقوم على

العمل المشترك في خدمة الإسلام، ويضم الرجال والنساء، قدوة بالرسول الكريم الذي كان يأخذ المشورة من الرجال والنساء معا.

سؤال ١٠: كيف ترى حال الفكر العربي اليوم؟ ولماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟

- يمر الفكر العربي والإسلامي اليوم بوضع صعب وعسير. فلم يضع المجددون حتى اليوم خريطة الطريق الفكرية للخروج من الماضي وأزماته الموروثة. ولم يضع المفكرون المحدثون خريطة الطريق للفكر العربي والإسلامي الحديث للخروج من إشكالياته وأزماته المعاصرة، فضلا عن التعثر في التخطيط للمستقبل. كل ذلك يسبب للعرب والمسلمين حيرة، وتوهة، وتناقضًا، وتخبطًا، وألمًا، وحسرة، وصدمة نفسية تجعل الحليم حيران. وكلما لحق بالأمة هزيمة جديدة، ظهرت أسئلة النهضة والإصلاح من جديد: لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟ ولماذا نحارب ونكره من قبل غيرنا؟ لماذا تجتمع جيوش العالم لاحتلال أراضينا؟ هل نحن السبب أم ماضينا؟ هل ندفع ثمن فاتورة تاريخية؟ وما دور التراث في صنع هذه الأزمات أو حلها؟

سؤال ١١: إذًا كيف نجعل من التراث دواء، إن لم يكن داء؟

- إن الموقف من التراث من أكبر الأسئلة المقلقة في العصر الحديث. والموقف الأصعب هو في تحديد دوره في إحداث النهضة أو إحداث الهزيمة. إنه سؤال فهم الحاضر ما هو. وفهم الماضي كيف كان. وفهم المستقبل كيف يكون. وقد أحسن التعبير عن ذلك المفكر الدكتور فهمي جدعان في كتابه **الماضي في الحاضر**، قائلاً: إن جميع القرائن تشير إلى أن قضية التـراث ستظل أحد هواجسـنا الرئيسـية في السـنوات القابلـة من هذا العصر، وإلى أنها، إن لم توضع بعد ذلك وضعًا صحيحًا، قد تصبح مصدر قلق مقيم وحيرة دائمة للأجيال التي ستنحدر من أصلابنا. ومرد ذلك إلى أمرين: أولهما أن التراث مشرع الأبواب على ماض مقدس، وثانيهما أن التراث ملتحم بحاضر متخلف.

وأول ما نسأل عنه، لماذا يفرض الماضي نفسه على المفكرين العرب، وعلى المجددين الإسلاميين؟ لماذا نطالب أنفسنا بالتفكير في التراث مرارًا وتكرارًا؟ وهو ماض، ونحن نريد بناء الحاضر وإبصار المستقبل. فمنذ عقود، ومع بداية القرن الخامس عشر الهجري، وبالأخص منذ العقد الثامن من القرن العشرين، والمسلمون يطرحون على أنفسهم سؤال التراث والتجديد. ويكتبون فيه النظريات. ويحللون صلته بالتقدم والتجديد والحداثة. ويصرون على تحديد دوره في النهضة. ذلك، بهدف تحديد موقفهم منه. والإجابة عن أسئلة نهضوية كثيرة. منها : كيف نعيش عصرنا؟ كيف نتعامل مع تراثنا؟ كيف نحقق ثورتنا؟ كيف نعيد بناء تراثنا؟ كيف نجعل من تراثنا حافزًا ومحركًا ومؤسسًا لمستقبل الفكر الإسلامي الجديد. وأيضًا بهدف تحديد موقفهم مما أطلق عليه في الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة الغزو الفكري الاستعماري، أو الحروب الصليبية، أو التبشير النصراني، أو الصهيونية، أو الاستشراق، أو التغريب، أو الفكر الغربي المعاصر، أو الحداثة، أو العولمة، أو بما يكنون عنه

مجازًا في الآونة الأخيرة بحضارة الآخر. والآخر في نظرهم ثقافة غير المسلمين من أمم الأرض، وتحديدًا الحضارة الغربية، وعلى رأسها أمريكا، بسبب ما يُصدر إليهم، طوعًا أو كرهًا، من نظم فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية وتربوية وغيرها، من الشرق والغرب، ومن كل فكر واتجاه.

سؤال ١٢: كيف ؟

- لن يستطيع العرب والمسلمون البناء في الحاضر ما لم يتمكنوا من توظيف التراث قوة دافعة من الماضي، وطاقة محركة - غير كامنة فقط - للحاضر والمستقبل. ذلك بتحديد التراث في التاريخ بصورة إيجابية أولاً، ثم تحديد دوره في الحاضر للعبرة والمفخرة والاعتزاز ثانيًا، وجعل تراث الماضي والحاضر شركاء في صناعة التنوير للمستقبل المنشود ثالثاً. أما تحديد التراث بصورة إيجابية، فذلك بالكشف عن القوى التي صنعت التراث الحقيقي في الماضي، وهي في خيرة القرون، والتي قادت الحركات الفكرية الداخلية المجتهدة والمجاهدة في السلطة والمعارضة الإسلامية في القرنين الأول والثاني للهجرة؛ والنظر إليها جميعًا على أنها قوى إسلامية أصيلة، ولو أخطأ بعضها، وأنها ساهمت جميعها في قيادة الأمة بأقوى صورة حضارية عرفتها البشرية لأمة من الأمم، وحتى يوم تقاتلت بالسيف حينًا، أو بالكلام أحيانًا. وبالرغم من أسمائها أو أوصافها في كتب التفرقة الداخلية، كتب الفرق والملل والنحل، فقد كانت مجتهدة ومجاهدة في استقامة الأمة على الحق والعمل الصالح، سواء كانت في السلطة أو المعارضة السياسية والعسكرية.

سؤال ١٣: وخطوات الاصلاح؟

- من أوائل الخطوات المطلوبة في عملية النهضة والإصلاح إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بعقلية علمية، وتوجه حيادي تجاه أحداث القرن الأول والثاني للهجرة، خطوة أساسية في التخطيط لتوظيف التراث في بناء الحاضر إيجابيًا. ثم تصويب النظرة إلى كتب العقائد الإسلامية، بكل مدارسها التي صيغت بعد القرن الثاني للهجرة وقبل إغلاق باب الاجتهاد، التي كانت منفعلة مع الأحداث السياسية السابقة أكثر من التحلي بالموضوعية العلمية والاجتهاد العلمي المستقل، سواء في تفسير نصوص القرآن الكريم وبيانه النبوي، أو تأثيرها على الفقه المذهبي والسياسي، بدليل إدخالها في العقائد الإسلامية ما ليس منها، وبالأخص الأحداث السياسية اللاحقة لتاريخ اكتمال النعمة وتمام الدين وختم النبوة بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام.

سؤال ١٤: ماذا عن الاجتهاد كوسيلة لتقدم الأمة؟

- إن الاجتهاد الإسلامي الجديد أمام تحد كبير لا يقل عن التحديات التي واجهت المسلمين في القرن الأول الهجري، ويتحدد في التفكير والتعامل مع الأفكار العصرية المطروحة، وبتعبير أصح، المفروضة من العالم الأقوى، مثل أفكار الإنسانية والحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة وحقوق الإنسان والعولمة الاقتصادية وغيرها.

لقد كان المسلمون في الماضي، بسبب علو همتهم، يبحثون عن الأفكار والفلسفات غير الإسلامية التي يحاورونها ويجتهدون في جدالها، دون الوقوف على سلبياتها فقط، حتى ينيروا الطريق أمام أهلها ويجعلوا قرار دخولهم في الإسلام من أنفسهم وقناعتهم العقلية.

وللأسف فإن بعض المسلمين المحافظين، بالرغم من خضوعهم لأنظمة الاحتلال أو توابعها، لا يفكرون إلا في سلبيات الأفكار الغربية الغازية. وربما كان الاحتلال ومقاومته هو السبب في ذلك. فهم لا يفكرون بمعزل عن آلامهم وهزيمتهم، أو بسبب التحليلات السطحية لنشوء هذه القيم في التراث الغربي، دون أن يكون التفكير والاجتهاد في تأسيس مثيلها عند العرب والمسلمين هو الهاجس والهدف المطلوب، طالما كانت أدوات حقيقية للنهضة والتقدم، لكن على أساس الاجتهاد الإسلامي المعرفي والعلمي والسياسي، وعلى القيم الإسلامية في حق الإنسان في الحرية والحياة والعلم، وعلى قيم الحياة السياسية العادلة بين المسلمين، والمساواة الحقيقية بين بني آدم في الحقوق الطبيعة والمعنوية والسياسية التي يفهمها العصر ويفرضها.

كما أن الاجتهاد الإسلامي مطالب أن يشارك في الجهود الإنسانية الهادفة إلى تحسين حياة الإنسان على الأرض، وإيجاد حلول لمشكلاته المعاصرة في الفقر الروحي، والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ومشكلات البيئة أو السلام العالمي أو مشكلات الماء والغذاء وغيرها، من وجهة نظر قرآنية أولاً، وإسلامية ثانياً، وتراثية ثالثاً. وكذلك عدم الجمود على المشاعر أو المواقف التراثية من الآخر، أو جعلها في مقدمة أي حوار دولي صادق لأن هذه المشاعر تاريخية بالدرجة الأولى، وكانت في حينها تملك من القوة ما لا تملكه محاور العصر الحالي، وليس من الحكمة بناء الصدام الحضاري على أساسها. ومن السياسة العلمية التركيز على القوة المعنوية للاجتهاد الإسلامي الجديد لأنه قادر بكل ثقة معرفية وعلمية على اقتراح الحل الأفضل، والتعاون في الوصول إلى ما ينفع الناس في دنياهم وآخرتهم.

سؤال ١٥: وقضية الإصلاح الداخلي؟

- الإصلاح الداخلي يبدأ بإصلاح النفس، وهي غاية كل إنسان عاقل؛ وإصلاح المجتمع، وهي غاية كل جماعة عاقلة. وفي علم الاجتماع الإنساني يتكون المجتمع من أفراد وأنظمة اجتماعية تضبط حركة المجتمع وتطوره، وتحكم حياة الناس فيه وشروط تغييرهم نحو الأحسن، والإنسان جزء من المجتمع والنظام السياسي وحركة التاريخ والحاضر والمستقبل.

أما معنى الإصلاح، فهو لغة وعرفًا خلاف الفساد. فإذا أدرك مجتمع ما ضعفه في يوم من الأيام، فإن من واجبه أن يبحث عن أسباب الخلل، ونقاط الضعف. والبلاد الفاسدة مثل الأجسام المريضة، لا تهدأ ولا يستقر لها حال إلا بالبحث عن الدواء والعلاج. وكلما كان المرض أو الفساد كبيرًا وعميقًا ومزمنًا، كان العلاج أصعب، ويحتاج إلى المهرة من الأطباء والمبدعين من المفكرين ليشخصوا داءه ويصفوا دواءه. ولما كان الإصلاح الذي يجري الحديث عنه يتعلق بأهم منطقة في العالم، ويتعلق

بأعظم دين عرفته البشرية، وهو دين الإسلام؛ فلا بد من تمهيد عن بعض القضايا والمفاصل، ومنها القضية الأولى عن معنى الدين والفكر وأين يمكن أن يقع ويمارس الإصلاح معهما، والقضية الأخرى عن ضرورة صناعة خطاب نهضوي وإصلاحي وفلسفي أو فكري يمكن فهمه وتداوله بين المفكرين وبين المخاطبين به، أو المعنيين بالنهضة والتجديد من شباب المسلمين. ونبدأ بالملاحظة الأولى، وهي أن الكلمات ألفاظ تفيد مَعانٍ، ويحسن بمن يقرأ أو يكتب في أي لغة أن يتعامل مع كلمات هذه اللغة بحسب قوانينها. وقوانين أيِّ لغة هي معارف أهلها وما توافقوا عليه في لسانهم وفكرهم وحياتهم. فإذا كانت اللغة التي يكتب بها لها خصوصية علمية أو دلالة معرفية أو عقدية (أيديولوجية)، فإن من الواجب العلمي والعقدي (الأيديولوجي) استعمال اللغة بحسب قوانينها وبحسب قوانين العلم الذي يصنف فيه، بما لا يخل باللغة ولا يحرف العلم عن أصوله، هذا بوجه عام.

أما إذا كان الكلام عن الدين الإسلامي والفكر الإسلامي، فلا بد من بيان أن الإصلاح هو في الفكر الإسلامي، أو في مناهج الفكر الإسلامي، وليس في الدين نفسه. فهذا من أوائل ما يجب التقيد به: التمييز الموضوعي بين الدين الإسلامي والفكر الإسلامي. فالدين الإسلامي هو وحي من عند الله تبارك وتعالى، والفكر الإسلامي هو اجتهاد من الإنسان المسلم في فهم الدين الإسلامي. فالفكر يوجد نتيجة عملية فكرية يقوم بها الإنسان. فإذا كان الحديث عن الدين الإسلامي في شأن ما، فيجب الحفاظ على كل معاني كونه وحيًا من عند الله ثابتًا لا يتغير ولا يتبدل، لا يزيد ولا ينقص، ولا يجري عليه الإصلاح. وإن كان الحديث عن الفكر الإسلامي، فيجب الحديث عنه بما يفيد أنه جهد معنوي بشري، ويتغير ويتبدل ويزيد وينقص وغير معصوم لأن مصدره الفعل المعنوي في المعرفة والإدراك والعقل والبيان والعلم.

إن هذا التمييز الموضوعي يتطلب أن نستعمل العبارات الصريحة والواضحة التي تفيد أن الحديث عن الدين الإسلامي لا يدخل دائرة الخطأ والصواب البشري، ولا يقع تحت الاستغلال، ولا يقع تحت الاستبداد ولا الإصلاح لأنه محفوظ من الله تعالى كما أنزل على النبي عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم وبيانه النبوي الثابت. وأما إذا كان الحديث عن الفكر الإسلامي، فإنه قابل للخطأ والصواب والاستغلال والاستبداد والفساد والإصلاح. لكن الأصل في الفكر الإسلامي أنه محل للهداية والخير والصواب والصلاح، فإذا وجد من يستغل الدين، فإنما هو مستغل للفكر الإسلامي لأنه مستغل للفكر الذي ينتجه هو أو غيره عن الدين. والأمر الأهم في هذا الموضوع هو البحث عن السبل الكفيلة بصناعة فكر عربي وإسلامي جديد، وعدم الاكتفاء بالطرق التراثية فقط.

سؤال ١٦: ما رأيك بمشروع محمد عبده الإصلاحي؟

- محمد عبده مفكر كبير، لكن ظروفه التاريخية لم تسمح له بالإسراع كثيرًا في التجديد والاصلاح الشامل؛ ما أثَّر على عدم اكتمال مشروعه الإصلاحي. فالمفكر عمومًا لا يستطيع أن يقفز كثيرًا عن زمانه. والسؤال: لماذا علينا أن نبحث عن المفكر القديم لحل المشكلات الحاضرة؟ فمشروع الإصلاح اليوم غير مشروع الإصلاح الذي طرحه الشيخ محمد عبده ورفاقه في نهايات القرن التاسع عشر

وبداية القرن العشرين الماضي. لذلك تدرس محاولاتهم من باب الخبرة، وليس من باب المشروع القابل للتنفيذ. والخبرة تقول إن الشيخ محمد وغيره من المفكرين السابقين لا يستطيعون إلا أن يكونوا أبناء عصرهم ومشكلاته وتحدياته. فكان موقف الشيخ محمد عبده نحو التراث ضعيفًا، وتوسل به أن يحدث النهضة أو إحدى مدارسه. وهذا ما تساءل عنه مفكر عربي مستغربًا: كيف تقوم نهضة على أسس أشعرية، أي على التشبيه في الذات، والتشخيص فيها، وعلى إنكار العدل وقانون الاستحقاق والغائية والصلاح والأصلح والحسن العقليين والعقل كأساس للنقل؟

لقد اقترب محمد عبده من بعض المبادىء الاعتزالية فيما يتعلق بالحسن والقبح العقليين، لكنه ظل في جملته أشعريًّا متزاوجًا مع التصوف، وهو النمط الديني القديم الذي ساد في حياتنا منذ الغزالي، أحد رواد الجوانية الأوائل. ما زال الإصلاح يتصور الدين بمعناه التقليدي، ويتعامل معه بأسلوب الدفاع، ويدعو إلى الرجوع إليه دون أن يحوله إلى أيديولوجيا، وإلى نظام للعالم، وإلى تحليل علمي، وإلى حركة جماهيرية، وهذا ما سبب بعض الاضطراب في سلوك المصلحين واتجاهاتهم السياسية.

ومما يؤيد هذه النظرة اتجاه مشروع محمد عبده الإصلاحي أنه في مقدمة كتابه **رسالة التوحيد** كتب مجملاً عن تاريخ الفكر الإسلامي في القرون الهجرية الأولى لم يختلف عما كُتِبَ في كُتبِ الفرق والملل والنحل، التي صنفت في القرن الرابع الهجري وما بعده. وهي قراءة تاريخية وتراثية بحد ذاتها قد لا يستطيع العرب والمسلمون بناء نهضتهم الحديثة على أساسها لأنها تلغي الآخر المسلم قبل غيره، وهذه معضلة منهجية يجب إعادة النظر فيها لأن الكتابة التاريخية بحد ذاتها تصدر عن اجتهاد وفكر بشري، وليس عن نصوص مقدسة.

وهذا التساؤل يمكن أن يوجه إلى عدد من المفكرين الكبار اليوم الذين يتوسلون بإحدى المدارس التراثية إقامة مشروع نهضوي من اللحظة التي توقف عندها تلك المدرسة، مثل تأسيس النهضة على المشروع الرشدي، نسبة إلى القاضي والفيلسوف العربي المسلم ابن رشد (٥٩٥هـ)، وهو ما يؤشر عليه مشروع الفيلسوف العربي محمد عابد الجابري؛ أو استئناف المشروع الفكري الفلسفي من اللحظة التي توقف عندها ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن خلدون (٨٠٨هـ)، كما يؤشر عليه مشروع الفيلسوف أبو يعرب المرزوقي. فهذه مشروعات قيمة وجديرة بالنجاح لولا ما قد تتهم به من التراثية، أي الانتصار إلى مذهب تراثي دون آخر، وهو ما يلزم عنه إحياء المنافس التاريخي القديم، فيحول دون تجاوز أزمة التراث التي يسعى الجميع لحلها.

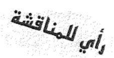
سؤال ١٧: أخيرًا، كيف تجد العلاقة بين حرية الكتابة والرقابة في العالم العربي؟

- حرية الكتابة مطلب كل مفكر وباحث، وضمانة كل تجديد وإبداع، وهي معيار النضوج الفكري بين المؤلفين والمجتمعات والدول. فالدول التي فيها حرية كتابة وحرية تعبير تصنف من الدول الديمقراطية والمتقدمة. لذلك تتسابق الدول المتقدمة في دعم سبل التفكير والتأليف والنشر والطباعة،

بالأخص في لغتها الوطنية، مع الانفتاح على اللغات والثقافات الأخرى والترجمة عنها. وبقدر ثقتها بنفسها وفكرها الحر وثقافتها العالمية، تقوم بالتوجه إلى الحوار العالمي، والدعوة إليه والإسهام الفاعل فيه. وفي كل ذلك دلالة واضحة على قوة الدولة، وثقتها بفكرها وثقافتها، وثقتها بقوة المفكرين والكتاب والمؤلفين فيها. وفي المقابل تصنف الدولة التي تمنع حرية الكتابة، أو تضع رقابة على كل كلمة أو كتابة أو حوار، بالدول المتخلفة والمستبدة، وهذا لا يورثها إلا الضعف والخوف والتراجع.

من هنا تأتي الدعوة إلى إلغاء جميع الحواجز أمام الفكر وحرية الكتابة في الدول العربية، وفي الأردن بالدرجة الأولى، والدعوة إلى الاقتصار على الرقابة الذاتية للمؤلف، وتحمله المسؤولية الدينية والاجتماعية والقانونية. فالمسؤولية الدينية وازعها داخلي، ومعيارها التقوى، ومنهجها حفظ الحرمات والمحرمات، والرقيب عليها رب العالمين. هذه الرقابة في نفس المؤلف وخشيته من الله تعالى هي الحقيقية والفاعلة بحق، أي أن الرقابة على الكتابة وتقديم الفكر أو الرأي، مهما كان نوعه أو مجاله، هي من مسؤولية المؤلف نفسه، قبل أن تكون من غيره، في أن يكون أمينًا على ما يكتب لنفسه أولاً، وأمينًا على ما يقدمه للناس ثانيًا. فإذا اختل المعيار الشخصي، فلا بد من معيار مجتمعي يحفظ الحقوق العامة. فلا يجوز أن تترك حرية الكتابة معول هدم للمجتمع. وهنا يتدخل الفكر المجتمعي في إنكار الكتابة المغرضة، أو منع الفكر الضار، بالطرق الشرعية التي يملكها المجتمع نفسه. لكن في هذه الحالة لا يكون المجتمع قد منع المفكر من حرية التفكير أو الكتابة، وإنما يكون ذلك الكاتب هو من دفع المجتمع للتدخل في كتابته وإنكارها ورفضها، أي أن الرقابة الاجتماعية وقاية للكاتب وللناس من تسفيه أنفسهم وتجاوز حقوقهم. فإذا اعترض مجتمع على كاتب، فإن الكاتب هو من فتح الباب على نفسه، وأوجب على مجتمعه أن ينكر عليه ما كتب. أما إذا كان الكاتب محترمًا لنفسه ولمجتمعه، فسيجد الدعم والتأييد من المجتمع، بل سيجد نفسه مفكرًا مبدعًا وكاتبًا خلاقًا.

إن الرقابة الاجتماعية سياج سلامة في نشر القيم النبيلة في الحياة بحرية وأمانة ومسؤولية. فإذا لم يحترم الكاتب نفسه ولا مجتمعه، وتجاوز حدود الحرية وأصبح في كتابته معتديًا على غيره، فإن الجهات التنفيذية المعنية في الدولة، التي من مهماتها حفظ الحقوق الخاصة والعامة، مطالبةٌ من المجتمع أولاً، ومن أصحاب الحقوق ثانيًا، أن تتولى معالجة الاعتداء ووقفه وإعادة الحقوق إلى أهلها. من هنا لا ينظر إلى الرقابة على أنها قيد على الكاتب أو المؤلف أو المستورد للكتاب بقدر ما ينظر إليها على أنها مراقبة للحقوق وراعية لها وضامنة لأهلها من الاعتداء، وهي في الوقت نفسه حماية للمؤلف قبل أن يصل إلى القضاء إذا لم يراقب نفسه فيما يكتب، وإذا لم يراقب حقوق مجتمعه وقيمه قبل أن ينشر ويعلن. ومن هنا أيضًا تكون الرقابة الثالثة، وهي الرقابة القانونية، مرحلة أخيرة في الرقابة، حمايةً للدولة التي تحفظ المجتمع وتحمي حقوق الناس. لذا كان لا بد أن تكون الرقابة القانونية دستورية فعلاً، وواضحة في موادها، وحافظة لحقوق الكاتب في الدفاع عن نفسه وبيان وجهة نظره بكل حرية وأمان. فالكتابة أمانة، والرقابة أمانة، والقضاء أمانة. ونقترح هذه النقاط لتأسيس بعض محاور الحديث عن حرية الكتابة، والرقابة في الجانب الثقافي والفكري، أو النظر إليها كجزء من برنامج عمل يكمله الآخرون بالحوار والشورى. ■



«إخوان الصفا»

حركة تقدمية بمقاييس عصرها

أ. يوسف عبد الله محمود*

في عصر ساده الاضطراب السياسي والاجتماعي ظهرت حركة «إخوان الصفا»، كسواها من الحركات الاجتماعية الداعية إلى الإصلاح ووضع حد للقمع وتسطيح الوعي الإنساني. نشأت هذه الحركة في زمن عم فيه الفساد، وسادته الانقسامات الطائفية والعنصرية والإقليمية، وأعني به أواخر العصر العباسي. ففيه وهنت الخلافة العباسية التي وصفها أحد الباحثين بأنها غدت «سلطة ثيوقراطية مشلولة، وأوليجركية عسكرية عنصرية ممثلة في نظام «إمرة الأمراء» المتسلط.»

د. محمود إسماعيل؛ «**إخوان الصفا**» **رواد التنوير في الفكر العربي**؛ ص٩٥

اختُلف في انتمائهم، فالغالبية ترجعهم إلى المذهب الإسماعيلي، في حين ينكر آخرون تشيعهم: «إن جماعة إخوان الصفا لم تتمذهب بالتشيع بسائر فرقه.»

المرجع السابق؛ ص٥٧

ولم يكن غريبًا أن تظهر هذه الحركة في مدينة «البصرة» التي شهدت اندلاع الثورات الاجتماعية المطالبة بالعدالة والمساواة. غير أن أتباع هذه الحركة لم يحتكموا إلى السلاح في دعوتهم الإصلاحية والتنويرية؛ بل اعتمدوا «القلم واللسان بدلا من السنان. وهو أمر افتقدت إليه الحركات السياسية المحبطة.»

آمن إخوان الصفا بـ «حتمية التغير الاجتماعي الذي يهدف إلى الإصلاح وتقويم البنيان الاجتماعي والسياسي.»

د. عز الدين فودة في مقدمته لكتاب **الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا**؛ تأليف د. محمد فريد حجاب

والدليل على أنهم كانوا دعاة إصلاح سلمي أنّ «الصفوة المفكرة منهم كانت تدعو للتغيير في إطار شرعي لا انقلابي.»

الرسائل؛ محمود إسماعيل؛ ج٣؛ ص١٧٧

وما ورد عنهم بهذا الخصوص يفنّد مزاعم بعض المؤرخين الذين اعتبروهم انقلابيين يريدون السطو على السلطة بالثورة أو الانقلاب. ما كان يشغل إخوان الصفا هو «إجراء تغيير عقلي في المجتمع تمهيدًا لتغيير النظام السياسي كله.»

د. عز الدين فودة؛ المرجع السابق

ولأن العصر الذي ظهرت فيه هذه الحركة كان عصر قمع واضطهاد لكل من ينتقد المظالم الاجتماعية فيه، فقد آثر أتباع هذه الحركة « التُقيَّـة» واستخدام «الرموز وعلم الحروف والأعداد والقصص

---

* كاتب صحافيّ في جريدة **الرأي** الأُردنيّة.

الرمزية، يستعينون بها على إخفاء ما يرون ضرورة إخفائه من آراء سياسية وأفكار ثورية.»

المرجع السابق؛ ص١٥

ويمكن أن يقال إن حركة إخوان الصفا كانت حركة تقدمية بمقاييس عصرها بالرغم من كل ما أورده المؤرخون عن أحلامهم المناقضة للواقع. صحيح أن تصوراتهم قد تبدو مثالية من خلال سعيهم لإقامة مدينتهم الفاضلة، لكن هذه التصورات راحوا يلحون على تحقيقها من خلال نشر دعوتهم السرية. كان إخوان الصفا تقدميين بالنسبة لعصرهم حين تبنوا «أيديولوجية معرفية» لمواجهة «الأيديولوجية الإقطاعية»، التي كان الأشعريون يروجون لها.

د. حسين مروة؛ **النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية**؛ ج٢؛ ص٤٤١

لم يكن إخوان الصفا متعصبين لمذهب؛ بل إن دعوتهم «لم تستهدف تأسيس دولة مذهبية كتلك التي توختها الدعوات الأخرى.»

د. محمود إسماعيل؛ المرجع السابق؛ ص٩٦

أما هدفهم: «فالتمهيد لتأسيس مجتمع فاضل موحد علماني اشتراكي في المال والعلم»؛ د. محمود إسماعيل؛ المرجع السابق؛ الصفحة نفسها. لكن هذا الاستنتاج الذي توصل إليه هذا الباحث يعارضه آخرون معتمدين على نص آخر: «الدين والملك أخوان توأمان لا يفترقان ولا قوام لأحدهما إلا بأخيه. غير أن الدين هو الأخ المقدم ... ولا بدّ للملك من دين يدين به الناس، ولا بد للدين من ملك يأمر الناس بإقامة سنّته طوعًا أو كرهًا.»

الرسائل؛ ج٢؛ ص٣٠٨

ترد على هذا النص نصوص أخرى تبدو متعارضة معه: «العقلاء لا يحتاجون إلى رئيس، لأن عقلهم يقوم مقام الرئيس والإمام.»

الرسائل؛ ج٤؛ ص١٨٩

وكدليل على عدم تعصبهم الديني والمذهبي قولهم في تعريف الإنسان الفاضل إنه: «الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي المذهب، العراقي الآداب، العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النُسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة.»

الرسائل؛ الجزء ٢؛ ص٣٧٦. وانظر: د. محمد فريد حجاب؛ المرجع السابق

وكأنيّ بإخوان الصفا لا يحصرون أُخوتهم بالدين وحده، فثمة «عوامل أخرى غير عامل الدين أو العرق». وحقًا ما توصل إليه د. حجاب من أنهم «التقوا حول قيم تعبّر عن المكونات الحضارية للمجتمع على عصرهم التي هي مزيج من ميراث العرب والمكتسبات المستحدثة من الثقافات التي وفدت عليهم من الأمم الأخرى.»

د. محمد فريد حجاب؛ المرجع السابق؛ ص٢٧

وكدليل على أن إخوان الصفا نسجوا مذهبهم من مفردات العقل، ومن الثقافات التي وفدت عليهم من الأمم الأخرى، إضافة إلى الأديان السماوية، أن الباحثين في تراثهم «يجدون فيه ما يبحثون عنه. فهم

فلاسفة عند الباحثين في تراثهم، وهم فلاسفة عند الباحثين في الفلسفة، وهم سياسيون عند الباحثين في السياسة، وهم أصحاب مذهب ديني عند الباحثين في المذاهب، وهم مربون ومعلمون عند الباحثين في المذاهب التربوية.»

د. عبد الأمير شمس الدين؛ **الفلسفة التربوية عند إخوان الصفاء**؛ ص٩٥-٩٦

ولعل اختلاف وجهات نظر المؤرخين والباحثين اليوم في تراث إخوان الصفاء يعزى إلى أن رسائلهم لم يكتبها مؤلف واحد؛ بل هي «نتاج عمل جماعي صدر خلال قرنين من الزمان من بدء الدعوة إلى نهاية القرن الخامس الهجري. كان «إخوان الصفا» تنويريين بكل معنى الكلمة هدفهم تحقيق وحدة الفكر عن طريق ترشيد طرائق التفكير.»

د. محمود إسماعيل؛ ص١١٦؛ المرجع السابق

أنكروا التزمت والتعصب، وانفتحوا على العلوم بذكاء وَقّاد. تقول إحدى نصوصهم: «وبالجملة ينبغي لإخواننا، أيدهم الله تعالى، أن لا يعادوا علمًا من العلوم، أو يهجروا كتابًا من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها: وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها، الحسّية والعقلية، من أولها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليّها وخفيّها بعين الحقيقة.»

الرسائل؛ جزء ٤؛ ص٤١ و ٤٢

كان إخوان الصفا منفتحين على جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية، بمعنى أن دعوتهم، وإن اتخذت طابع «السرية» خشية الملاحقة والاضطهاد، فقد انتمى إليها «إخوان وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين والتجار، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس.»

الرسائل؛ ج٣؛ ص٤٨٤

أحسن إخوان الصفا التعامل مع «ثقافة الاختلاف»، هذه الثقافة التي - مع الأسف - ما زالت تعوز الكثيرين من علمائنا ومثقفينا في أيامنا هذه. يقول إخوان الصفا: «ثم اعلم أن في اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب فوائد كثيرة تخفى على كثير من العقلاء.»

الرسائل؛ ج٣؛ ص٤٩٠ و ٤٩١

وفي موضع آخر يقولون: «اختلاف العلماء رحمة.»

الرسائل؛ ج٣؛ ص٣٠

من ناحية أخرى، حمل إخوان الصفا على الحكام الظالمين وعلى فقهاء السلطة الذين يبررون الفساد و«يحرّفون الكلم عن مواضعه». عن هؤلاء الفقهاء والحكام يقولون في رسائلهم: «والرؤساء الجهالة فيهم يتزايدون في كل يوم، واختلافهم يزيد، واحتجاجاتهم ومناظراتهم تكثر، وجدالهم ينتشر، حتى ينسخوا أحكام الشريعة ويغيروا كتاب الله بتفسيرهم له بخلاف ما هو به، كما قال: «يحرّفون الكلم عن مواضعه». وفي أصل أمرهم قد حوّلوا الشريعة من حيث لا يشعرون، وأوّلوا أخبار النبي عليه السلام بتأويلات اخترعوها من تلقاء نفوسهم

ما أنزل الله بها من سلطان، وقلبوا المعاني.»

الرسائل؛ ج٣؛ ص١٥٤و ١٥٥

كأني بإخوان الصفا في هذا النص يتحدثون لا عن عصرهم فحسب، بل عن عصرنا أيضًا، حيث هناك فقهاء يلجأون إلى «تأويلات» «اخترعوها من تلقاء نفوسهم ما أنزل الله بها من سلطان.»

وفي نص آخر تقرأ قولهم في «الطبقة المجادلة» التي تلعن وتُكَفِّر: « ... تراهم يكفّر بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض، ويرى كل واحد منهم حلّ أخذ مال مخالفيه، ويشهد عليهم بالكفر والزندقة.»

الرسائل؛ ج٣؛ ص٥٣٧

ولنقرأ نصاً آخر يشي بالمحبة والتكافل الاجتماعي:

«إن معاونة الأخ ذي المال للأخ ذي العلم بماله، ومعاونة الأخ ذي العلم للأخ ذي المال بعلمه في صلاح الدين كمثل رجلين اصطحبا في الطريق في مفازة. أحدهما بصير ضعيف البدن معه زاد ثقيل لا يطيق حمله، والآخر أعمى قوي البدن ليس معه زاد، فأخذ البصير بيد الأعمى يقوده خلفه، وأخذ الأعمى ثقل البصير فحمله على كتفه، وتواسيا بذلك الزاد، وقطعا الطريق، ونَجَوَا معًا. فليس لأحدهما أن يمنّ على الآخر في إنجائه له من التهلكة في معاونته، لأنهما نَجَوَا معًا بمعاونة كل واحد منهما صاحبه، والمعاونة لا تكون إلا بين اثنين أو أكثر.»

الرسائل؛ ج٣؛ ص٤٧٦

يبقى أن نقول إن فكر إخوان الصفا الذي تبناه الكثيرون من فلاسفة الإسلام ومفكريه، كالمعري والتوحيدي وابن سينا والفارابي، كما يشير إلى ذلك العالم أحمد أمين، بالرغم من تقدّميته وتعبيره عن المصالح الاجتماعية للمهمّشين، فإنّ أحد الباحثين المعاصرين، وهو د. حسين مروة، ينتقد إخوان الصفا لأن فكرهم السياسي، وإن بدا مستنيرًا، فإنه عكس الصورة التاريخية نفسها للتركيبة الطبقية في عصره. ودليله على ذلك أن الفئات الاجتماعية المهمشة التي كان من المفترض أن يعبر «الإخوان» عن أيديولوجيتها وتطلعاتها «تقبع عندهم في المرتبة الدنيا من المجتمع»، وبأنهم «يقرون الحكم الملكي ويجعلون له الأمر والنهي.»

د. حسين مروة؛ **النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية**؛ ص٣٨١و ٣٨٤

لكن هذا الإقرار، كما نرى، يشترط نزاهة الحكم الملكي وإلاّ يجب رفضه. ومع ذلك فهذا الباحث يضع اللوم، فيما يبدو تناقضًا، على «الوضع التاريخي». «فليس مطلوبًا، ولا يمكن أن يكون مطلوبًا من «الإخوان»، أو من مفكرين آخرين، أن يخرجوا على عصرهم أو يتجاوزوا حدود وضعه التاريخي. فمجتمعات عصرهم مجتمعات طبقية.»

د. حسين مروه، ص٣٨١

باحث آخر هو د. توفيق سلوّم يشير في كتابه **نحو رؤية ماركسية للتراث العربي** إلى «أن قضية «تقدمية» مذاهبهم، أو «رجعيتها»، لا يمكن أن تحل إلا في ضوء النظرة التشكيلاتية، بعيدًا عن الرؤية «الأخلاقية» المجردة وغير التاريخية.»

المرجع السابق؛ ص١٩٨

■

اللقـــاءات الشــهريّة

-١-

هولسمان: التشويه الإعلامي الغربي يغذي صدام الحضارات*



في إطار لقاءاته الشهرية، استضاف منتدى الفكر العربي يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٧/٣/٢٨ الأستاذ كورنيليس هولسمان لإلقاء محاضرة حول الدور الذي يمكن للإعلام أن يلعبه في العلاقات بين الحضارات والأديان المختلفة، وتحديدا بين الحضارة العربية ببعدها الإسلامي، والحضارة الأوروبية ببعدها المسيحي.

هولسمان، الأستاذ الهولندي الخبير في الإعلام والناشط في مجال تشجيع الحوار بين الحضارات، انطلق في محاضرته من أن الإعلام سيف ذو حدين، فهو من جهة قادر على أن يقوم بدور بنّاء وإيجابي، ومن جهة أخرى قادر على أن يقوم بدور سلبي ومدمر، ومن هنا تأتي خطورته.

وقد اتهم المحاضر الإعلام الغربي بالقيام بدور سلبي حين يتعلق الأمر بالمشكلات الناشئة عن خلفية دينية في العالم العربي. وركز حديثه على مشكلات معينة حدثت في مصر، حيث يقيم، بين مسلمين وأقباط، مثل أحداث قرية الكشح عام ١٩٩٨ التي اشتبك فيها مسلمون وأقباط، ما أسفر عن سقوط قتلى بين الجانبين، وأحداث منطقة محرم بيك في مدينة الإسكندرية عام ٢٠٠٥.

---

* عقد هذا اللقاء [رقم(٢٠٠٧/٢)] باللغة الإنكليزية في مقر المنتدى بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٢٨. [أنظر مقالات (٦)؛ ص٣٩من هذا العدد].

واتهم المحاضر الإعلام الغربي بنشر تغطيات لهذه الأحداث وغيرها تتعمد إظهار المسلمين وكأنهم يستهدفون المسيحيين من خلال استخدام الإشاعات والمزاعم غير المؤكدة، مع إهمال السياقات الاجتماعية والتاريخية والثقافية لهذه الأحداث. كما اتهمه بتعميق الانقسام وتسميم الأجواء بين المسلمين والمسيحيين. وأكد أن هذا النوع من التغطيات الإعلامية من شأنه تغذية العنف الطائفي، مشيرا إلى أن هناك أسبابا وراء تضخيم الأحداث التي تقع على خلفية دينية، خصوصا في مصر بشعبها المتدين، وهو ما يجعل أي ربط بين الدين وأي قضية أخرى أمرا مثيرا للمشاعر.

وأعلن هولسمان رفضه لدعوات إهمال التغطيات الإعلامية المتحيزة وغير الموضوعية، محذرا من أن مثل هذا الموقف شبيه بدفن الرؤوس في الرمال، وداعيا في الوقت نفسه إلى التصدي للتشويه الإعلامي حتى لو بدا ضئيل الأهمية. وقال إن علينا ألا نوفر الفرصة لهذه التشويهات الهادفة لجعل القضايا بين الناس مختزلة في اللونين الأبيض والأسود، وهو ما رأى فيه بذورا لصراع الحضارات.

ودعا هولسمان القارىء إلى التشكك في ما تنشره وسائل الإعلام في الغرب، وعدم القبول باللغة المسيئة والتحريضية التي تصاغ بها التقارير الصحفية الخاصة بالمنطقة العربية بوصف ذلك نوعا من حرية التعبير، لكنه حذر في الوقت نفسه من الدعوات التي تصدر أحيانا في العالم العربي داعية إلى فرض الرقابة وتقييد حرية التعبير. وقال إن علينا أن نثقف أنفسنا بأن الرد على التشويهات أمر ممكن وفعال، وشدد على عدم تجاهل التحيزات الإعلامية وعلى السعي لمعالجتها.

كما قال إن على العرب أن يطرحوا جانبا فكرة أنهم بلا حول أو قوة في مواجهة الآلة الإعلامية الغربية والإسرائيلية، مستشهدا بدعوة بريان ويتاكر، الصحفي في جريدة الغارديان البريطانية، إلى ترجمة مقالات ترسم صورة أكثر دقة للأوضاع في بلدانهم، بدلا من الجلوس والتذمر من أحابيل قادة الجاسوسية المخضرمين في إسرائيل.

وأوضح هولسمان أن مركز تقارب الثقافات والترجمة الذي يديره قد بدأ في التعامل مع هذه الانحيازات من خلال نشر مواد إعلامية انتقادية، وتزويد وسائل الإعلام الغربية بالمعلومات باللغة الإنكليزية، وترجمة بعض المواد من اللغة العربية بهدف كسر عملية التنميط التي تقوم بها وسائل الإعلام الغربية، والاهتمام بالتوثيق والأرشفة والمتابعة الدؤوبة لكل ما ينشر في وسائل الإعلام الغربية والتحاور معها، والتشبيك مع مراكز ومؤسسات إعلامية وثقافية غربية من خلال الإنترنت، ومن خلال برامج حوارية مشتركة.

وفي نهاية المحاضرة، عرض هولسمان فيلما وثائقيا يصور العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في مصر. وقد أثْرت أسئلة الحاضرين وتعليقاتهم اللقاء الذي تناول واحدة من أكثر القضايا التي تواجهها المجتمعات العربية حساسية. ■

اللقـــاءات الشـــهريّـة

-٢-

بمناسبة ذكراها الأربعين*

قراءة تجربة حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ واستشراف رؤى المستقبل

د. عـدنان بـدران: هزيمة حزيران مستمرّة في حروب الطوائف التي نشهدها اليوم

أ. عدنان أبو عودة: وضع الضفة والقطاع تحت الإدارة الدوليّة أو حلّ السُلطة ووضع إسرائيل في مواجهة المجتمع الدوليّ

د. طـاهر كنعان: النّخبة المثقّفة هي المسؤولة عن عزل الحركات الدّينيّة، وعقلية البازار لا تستوعب معنى التضحية



أدار هذا اللقاء، الذي شهد حضورًا كثيفًا ونقاشًا مستفيضًا حول ما طرحه المحاضران، د. عدنان بـدران، عضو مجلس الأمنـاء ورئيس لجنة الإدارة في منتدى الفكر العربي. وتناول د. بدران في تقديمه للقاء ما وصفه بالتجربة المريرة التي مرَّت بها الأمّة في هزيمة ١٩٦٧، التي كانت منعطفًا خطيرًا في المشروع النهضويّ العربي. وقال: إنّ الدول العربيّة خاضت تلك الحرب دون استعداد عسكريّ، فكانت الهزيمة حقيقيّة خلال ستة أيام، لا سيما أنها جاءت في جو من المناكفات بين العرب أنفسهم، ووسط مزايدات وعواطف جياشة كان العقل العربيّ فيها غائبًا.

وأضـاف د. بـدران: إن لتلك الحـرب نتائج وتداعيات ما زلنا نعيشها حتى اليوم. ويقول كثير من المحلّلين العرب والإسرائيليّين إنّ حرب الأيام الستة لم تقف حتى يومنا هذا ولا تزال مستمرّة.

---

* عُقد هذا اللقاء [رقم(٢٠٠٧/٣)] في مقر المنتدى بتاريخ ٦ حزيران/يونيو ٢٠٠٧.

فما يحدث في لبنان والعراق وفلسطين، وفي بقاع أخرى من العالم العربي، ما هو إلا هذا الاستمرار، الذي يعتقد كثير من السياسيين أنّ من صُوَره حرب الطوائف في منطقة يُراد للطائفة اليهوديّة أن تكون هي المسيطرة فيها.

كلمة أ. عدنان أبو عودة

الذكرى مريرة وأليمة. وهنالك الكثير الذي يمكن قوله بهذه المناسبة، حيث إنها ذكرى مفعمة بالدروس القاسية والحزن المركب. ولأنها كذلك، فقد اخترت أن أقسم حديثي إلى ثلاثة أقسام:

في القسم الأول: سأتناول بعض الأحداث والمفاهيم ذات الصلة بالموضوع،

وفي القسم الثاني: سأحاول رسم المعالم الرئيسية للمشهد كما هو اليوم،

وفي القسم الثالث: سأقدم اقتراحًا للخروج من المأزق الذي نعيشه ونراه في ذكرى الأربعين لحرب حزيران.

«الأربعون» في تراثنا الشعبي هي ذكرى متكررة تتميز بمفارقة عجيبة، حيث إنها من جهة ترتبط بالحياة حينما نحتفل بالذكرى الأربعين للوليد، ومن جهة أخرى ترتبط بالموت حينما نحييها لتذكر من فارق الحياة. ولئن كان البعض منا يميل لربطها بالموت والزوال، فإنني أنزع إلى ربطها بالحياة أملاً بجعلها نقطة انطلاق لمستقبل أفضل.

بكل بساطة كانت هزيمة حزيران زلزالاً سياسيًا وثقافيًا وَجَّه للمشروع النهضوي العربي ضربة شبه قاتلة، وفتح الطريق أمام تغيرات جذرية مربكة على صعيد القطر العربي الواحد، وعلى صعيد أمتنا، سواء بسواء. فأزهرت على أنقاضها توجهات أيديولوجية بعضها جديد وبعضها الآخر قديم جديد، مثلما أنتجت من صلبها جيلاً مفككك الهوية والثقافة. ولعل أخطر فريق في هذا الجيل هو ذلك الفريق الذي يمكن وصفه بالفقاعات الثقافية التي تذروها رياح العولمة، متخبطة بين الماضي والحاضر والضار والنافع في غياب التماسك الذي يكفله الحس بالهوية، التي اهتزت من جذورها ابتداء من هزيمة حزيران وتفككت مع نوازع الاستهلاكية وآثار العولمة.

في الاحداث والمفاهيم:

يقول برنارد لويس، المؤرخ والأستاذ في جامعة برنستون، في كتيب نشر ضمن سلسلة من الكتيبات عام ٢٠٠٠ صدرت عن إحدى المؤسسات البحثية الأمريكية لتقدم نبوءات عن المئة عام القادمة بمناسبة الألفية الثانية: «منذ معركة أبوقير بين فرنسا وإنجلترا والقرارات المصيرية الكبرى المتعلقة بالإقليم العربي تؤخذ خارج الإقليم وليس داخله».

وإذا قبلنا ما قاله لويس، فإننا يمكن أن نقرأ بعدًا آخر لهزيمة حزيران، وهو قطعها الطريق أمام استعادة العرب لحقهم في اتخاذ القرارات الكبرى المتعلقة بمصيرهم حينما قصمت ظهر عبدالناصر، الذي رأى الغرب فيه الزعيم الذي سار على طريق إنجاز المهمة من خلال نجاحه في إفشال حلف بغداد وتأميم قناة السويس وبناء السد العالي.

في الأربعين عامًا تبادل العرب المواقف مع إسرائيل. ففي الستينيات كانت إسرائيل تحمل شعار الدعوة إلى السلام ضمن حدود الهدنة وتدعي حرصها على تحقيقه، وكان العرب هم المتمنعين. أما اليوم، فإننا نحن الذين ندعو إلى السلام ونقسم على حرصنا عليه، في حين تقف إسرائيل أمامنا مراوغة متمنعة.

في الفترة ذاتها، تغير الطيف السياسي في إسرائيل بشكل ملحوظ، إذ غاب اليسار المؤثر وتحول إلى وسط، وتحول الوسط إلى يمين، في حين أصبح اليمين متطرفًا قاعدته المستوطنون والمهاجرون الجدد. وكي ندرك معنى هذا التغير في الطيف، سأقرأ عليكم ما كتبه أحد المفكرين اليمينيين، وهو البرفسور غابي افيتال، العضو في حلقة أساتذة الجامعات للمنعة السياسية والاقتصادية في إسرائيل، وذلك في الذكرى التاسعة والخمسين لقيام إسرائيل. كتب افيتال في جريدة معاريف يقول: «على إسرائيل أن تصحو قبل بدء أي عملية تفاوضية مستقبلية بحيث لايكون ظهرها للبحر. عليها أن تصرح بأن مبدأ «الأرض مقابل السلام» هو مبدأ راقٍ جدًّا. من هنا، من يرغب في السلام عليه أن يعطي الأرض، حيث إن إسرائيل في التحليل النهائي تملك أكبر كنوز السلام فوق المعمورة، في حين يمتلك العرب أكبر احتياطي من الأرض». لاحظوا أن المفاهيم قُلبت: هم يعطوننا السلام، ونحن في المقابل نتنازل عن الأرض.

في الأيام القليلة الماضية شاهدت، مثلما شاهدتم أنتم بالتأكيد، المقابلات التي أجرتها قناة الجزيرة مع مواطنين عرب من مختلف الأقطار ومختلف فئات الأعمار حول حرب حزيران ١٩٦٧. إن عدم معرفة بعضهم بالحدث، وجهل بعضهم الآخر بخطورته وانعكاساته على الحياة العربية، كما ظهر في المقابلات، هو إدانة للمناهج التربوية العربية وللإعلام العربي. والأخطر من ذلك أن الخلاصة في رأيي ربما أكدت سلامة رؤية بن غوريون الذي راهن على الزمن كي ينسى العرب قضيتهم. والحال في مجمله صورة مرعبة تعكس غياب الذاكرة الوطنية القومية. وهذا يذكرني بالدعوة القوية هذه الأيام لإشاعة ثقافة السلام. إن أهم مرتكزات ثقافة السلام هو تسامح الضحية واعتذار الجاني. فهل يمكن لفاقدي الذاكرة أن يحصلوا على اعتذار الجاني ليمنحوه تسامحهم إذا كانوا لا يتذكرون ما حدث لهم؟

خاضت إسرائيل حرب حزيران الوقائية من وجهة نظرها بحجة الدفاع عن الدولة. وقد نجحت وخرجت القوة الإقليمية التي يعتد بها. لكن ما لبثت أن استيقظت فيها أحلام الحركة (الصهيونية) فتوسعت، إذ سرعان ما بدأت تبني المستوطنات وتستقدم المهاجرين اليهود.

في الأربعين عامًا تمكنت إسرائيل من إخراج القضية الفلسطينية من الأمم المتحدة وحشرها في الرباعية التي تحتل الأمم المتحدة فيها حيزًا ثانويًا. ولعل خير مثال على خطورة إخراجها من إطار الأمم المتحدة هو عدم اكتراثها بتوصية محكمة العدل الدولية بخصوص مسألة الجدار العازل.

تنطلق الأكثرية في إسرائيل بكل أطيافها السياسية، خصوصًا القيادة اليمينية، من اعتبار انتصارها في حزيران ١٩٦٧ أنه حقق لها تحرير كامل أرض إسرائيل غرب النهر، وأنه لسوء حظها وجدت على أرضها المحررة جالية غريبة. فماذا تفعل بها كي يكتمل نصرها؟ لقد كانت هذه المسألة بالنسبة للقيادة الإسرائيلية على مدى الأربعين عامًا الماضية شغلها الشاغل. أنكرت جولدا مائير وجود شعب فلسطيني، وتبنى حزب العمل استراتيجية الخيار الأردني، وطرح الليكود فكرة الترانسفير، والقليل منهم فقط تبنى فكرة الدولتين. لكن مُضي أربعين عامًا دون نتيجة، يدل على أن المسألة مازالت قائمة، وهي المسؤولة

عن الفشل في التوصل إلى السلام العادل الدائم الذي عبر عنه قرار مجلس الأمن ٢٤٢.

لم تكن حقبة الأربعين عامًا كلها مصبوغة بالسواد، بل تخللتها نقاط مضيئة، ابتداء من معركة الكرامة التي أعادت التوازن للجندي الأردني، وبالتماهي للجندي العربي، وبثت الثقة في المقاتل الفلسطيني؛ مرورًا بعبور الجيش المصري الجريء والمتقن لقناة السويس؛ واقتحام القوات السورية للدفاعات الإسرائيلية المنيعة في الجولان؛ ووقف ضخ النفط العربي بجهود المرحوم الملك فيصل؛ وانطلاقة الانتفاضة الفلسطينية الأولى؛ وانتهاء بصمود حزب الله أمام الجيش الإسرائيلي، الذي هز صورة القوة الردعية التي تمتعت بها إسرائيل منذ حرب حزيران.

المشهد في فلسطين اليوم:

- عملية السلام متوقفة ولا توجد إشارة واحدة تبشر بإمكانية نجاحها لو أنها استؤنفت.
- تقاتل واحتراب وانقسام فلسطيني.
- بشهادة Oxfam، الجمعية الخيرية البريطانية، فإن ثلثي الشعب الفلسطيني يعيشون تحت خط الفقر، و٥٠٪ منهم جياع، والنظامان الصحي والتربوي في الضفة والقطاع يتداعيان.
- بالنسبة للمقرر الخاص لحقوق الإنسان في الأرض المحتلة، فإن الحالة التي يعيشها الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال هي أول حالة في العالم نرى فيها شعبًا تحت الاحتلال يخضع في الوقت نفسه لعقوبات دولية.
- وبالنسبة لمفوض وكالة الغوث، فإن ما يخيف في الواقع الفلسطيني هو استمرار الأزمة التي تؤثر سلبًا في كل جانب من جوانب حياة الفلسطينيين، وأهمها انهيار حكم القانون وتفكك النسيج المجتمعي، وارتفاع نسبة الجريمة والعنف الداخلي، وزيادة التطرف في أوساط الشباب اليائسين والعاطلين عن العمل.

هذا هو الواقع الفلسطيني كما نراه نحن كطرف، وكما يراه المراقبون الحياديون. والسؤال هو ما هي ملامح المشهد النافرة؟ وكيف نقرأها إذا أردنا فعلاً أن نتوج المسعى المعلن بالنجاح، فيحقق الشعب الفلسطيني استقلاله وينال حريته ويؤسس دولته ويزاح الاحتلال عن صدره؟

إن أول ملامح الصورة هو أن الأربعين عامًا الماضية لم تكن كافية لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢. وثاني الملامح هو أن سبع سنوات انقضت على استحقاق إقامة الدولة الفلسطينية في عام ٢٠٠٠ حسب التفاهمات التي تمت بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية ولا نرى دولة أو حتى ظلال دولة. ونرى عوضًا عن ذلك شعبًا فلسطينيًا منقسمًا على نفسه من خلال فصائل متشعبة الأهواء، وأرضًا فلسطينية ممزقة الأوصال في غياب جبهة وطنية وإدراك واع مشترك يجمع الفصائل ويوحدها ويوجه سياستها. ولعل أحدث شاهد على هذا التخبط كلمة الرئيس الفلسطيني بمناسبة الخامس من حزيران يوم أمس، حيث ركز في كلمته التوجيهية على التهدئة الداخلية والتهدئة مع إسرائيل، والسعي لتوفير رواتب الموظفين وبناء المؤسسات وتوفير المناخ الملائم لتلقي المساعدات. وجميع هذه الأمور مشروعة ومهمة، لكن أين القضية الأساس؟ ما هي رؤيته عن إنهاء الاحتلال؟ وكيف سيتعامل مع إسرائيل ويصوب المسار بعد تجربة السلطة الوطنية الفاشلة؟

ماذا سيفعل إزاء التوسع في بناء المستوطنات، أي تغيير إسرائيل المحتلة للواقع على الأرض؟ لقد اكتفى السيد الرئيس بالشكوى من مأساة الحصار ومأساة الاحتلال. فلا رؤية جديدة، ولا إشارة واحدة تدل على مراجعته وقيادة فتح للمسار السياسي المتعثر الذي اختاروه. وهو بهذا الموقف يعبر في رأيي عن قبوله غير الواعي بالتخطيط الإسرائيلي المسكوت عنه من الرباعية، وبالتوجه الإسرائيلي منذ اغتيال رابين، أي بعبارة أخرى، قبوله الضمني بمشروع الحكم الذاتي.

فما الذي حدث بعد اغتيال رابين؟

اذا أحسنا النية، فإن اتفاقات أوسلو كانت هي الخروج الأول والوحيد للقيادة الإسرائيلية عن نظرة الإسرائيليين الثابتة بأن الفلسطينيين جالية على أرض إسرائيل، وليسوا شعبًا يقيم على أرضه وأرض آبائه وأجداده ومن حقه أن يقرر مصيره. وفي رأيي أن رابين دفع حياته ثمنًا لهذا الخروج أو الانحراف، والدليل على ذلك أن ناتنياهو الذي تولى الحكم بعد رابين سرعان ما أعاد التعامل مع الفلسطينيين على أساس أنهم جالية أو جماعة مزعجة، مثل الأكراد في تركيا، والتاميل في سيريلنكا، والباسك في إسبانيا، والشيشان في روسيا. وفي مثل هذه الأحوال، إذا أصبحت الأقلية أو الجماعة الغريبة مزعجة، لا تقتطع الحكومة المركزية جزءًا من أرضها لتلك الجماعة لتقيم عليها دولتها، بل تعطيها في أحسن الأحوال حكمًا ذاتيًا.

ومنذ أن تولى شارون الحكم بعد تفجر انتفاضة الأقصى، شرع في تجسيد فكرة الجالية على أرض الواقع، وجعل لها مرتكزين. الأول هو استبعاد السلطة كشريك لأنها لن تقبل بتصويره الحل. وحتى يحقق الاستبعاد، كان لابد أن يأمن التدخل الدولي. فعمل على التماهي مع الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وجعل من الناشطين في الانتفاضة إرهابيين. وقبلت الولايات المتحدة بذلك. واعتبر المرحوم ياسر عرفات مسؤولاً عن الانتفاضة، أي «الإرهابيين»، ورفع شعار أن عرفات غير ذي صلة. ثم انتقل إلى المرحلة الثانية، ورفع شعار أنه لا يوجد شريك فلسطيني، لينتقل بعدها إلى شعار الانفصال الأحادي، أي أنه هو الذي سيقرر مصير الأرض المحتلة بسبب غياب الشريك الفلسطيني.

أما المرتكز الثاني، فهو إعطاء مصداقية لسياسته وتأسيسها أمرًا واقعًا، بالانسحاب من غزة الذي رحب به الغرب وصوره الفلسطينيون تحريرًا. والحقيقة أن الانسحاب من غزة وإزالة المستوطنات، في الوقت الذي أبقت إسرائيل على حصارها للقطاع والسيطرة على معابره برًّا وبحرًا وجوًّا، لم يكن أكثر من خروج السجَّانين من ساحة السجن، تجنبًا لإزعاج السجناء عن طريق لزوم أبراج المراقبة بكامل أسلحتهم والسيطرة على السجناء من مواقع أمن بدل التصادم المباشر معهم. وبمعنى آخر، اتباع سياسة الحصار الخانق للجالية، أو ما أسميته في إحدى مقابلاتي التلفزيونية استراتيجية الحوصلة Encapsulation، مستعيرًا مصطلحًا بيولوجيًّا عن واحدة من ظواهر تفاعل جسم الإنسان مع أي جسم غريب يتسلل إليه ويرفضه الجسم. أما في الضفة الغربية، فقد شرعت إسرائيل منذ زمن بتطبيق الحوصلة حينما أنشأت الطرق الالتفافية، التي جعلت من القرى والبلدات الفلسطينية ثآليل تأمل بأنها ستتساقط وتتآكل مع الوقت،

وأكملتها ببناء الجدار العازل، وتعزيز وجودها الاستيطاني في غور الأردن الفلسطيني لتحوصل الضفة الغربية بأكملها بعد أن حوصلت أجزاء منها بالطرق الالتفافية. وبالتحليل يمكن أن نتبين أن استراتيجية الحوصلة، أو الخنق البطيء، تتطلب زمنًا حتى تبلغ غايتها بالتخلص من الجالية، أي الجسم الغريب. وعلى ضوء ذلك يمكن أن نفسر السياسة الإسرائيلية القائمة على المماطلة وشراء الوقت ونتفهمها. ويعتقد بعض المفكرين الإسرائيليين اليمينيين بسلامة هذه الاستراتيجية، خصوصًا في ظل العولمة التي جعلت من الهجرة الاقتصادية واحدة من أبرز سماتها. وحينما يصرح بعض الإسرائيليين بأن الجدار العازل إجراء مؤقت سيزال فور اطمئنانهم لأمنهم، إنما يقصدون حينما يخنق الشعب الفلسطيني، وليس كما يدعون حينما ينتهي الإرهاب الفلسطيني، كما تعتقد بعض شرائح المجتمع الدولي.

لكن ماذا عن المجتمع الدولي؟

وهذا السؤال يدعونا للتوقف عند آخر صيغة للعبة التسوية السلمية أجمع عليها عربيًا ودوليًا، ألا وهي الرباعية. وهذه الصيغة مع الأسف الشديد لم تقدم العملية السلمية خطوة واحدة إلى الأمام، إن لم نقل إنها أسهمت، بوعي أو بغير وعي، في دعم التوجه الإسرائيلي نحو شراء الوقت اللازم لإنجاح عملية الحوصلة. فقد جرَّت إسرائيل الرباعية بشكل تدريجي إلى البحث في أعراض المشكلة عوضًا عن أسبابها. فحدث ما يمكن أن نسميه بالإنكليزية Paradigm shift، أي نقلة في المنطلق، أو تغير في القالب، بحيث غدا جدول أعمال الرباعية يتألف من قضايا، مثل المعابر والحواجز على الطرق والإسراع بتسليم السلطة استحقاقاتها المالية من الضرائب التي تجمعها إسرائيل، إلى نزع سلاح المقاومة (الإرهابيين)؛ وجميعها تقع في خانة النتائج وليس خانة أسباب النزاع، وهو الاحتلال. ورافق نقلة المنطلق، أو تغيير القالب المتعلق بمقاربة الحل، نقلة أخرى اعتمدتها إسرائيل دون أن تعلنها، وهي التعامل مع الفلسطينيين كجالية وليس كشعب. إن غياب الإدراك العميق، من جانب الرباعية والفلسطينيين، لمعنى هاتين النقلتين، أو هذين التغيرين على مقاربة عملية السلام، ولآثارهما هو المسؤول عن الارتباك الذي أصاب الرباعية وتعثر عملية السلام ثم توقفها، وما رافق ذلك من تخبط فلسطيني كان من أبرز ظواهره الانقسام والاحتراب اللذين نشهدهما هذه الأيام. أما بالنسبة لإسرائيل، فقد جاءت هذه التطورات مواتية لها تماما، أو كما ترغب، لأنها مكنتها من شراء الوقت.

أما السلطة الفلسطينية كصيغة للإدارة، فقد كانت ضرورية من وجهة نظر إسرائيل لنجاح النقلتين لأنها وظفت كقناع يوحي بأن وجودها هو مقدمة للدولة، بينما هي في الواقع ستار يحجب عن عيون الفلسطينيين والمجتمع الدولي ما تقوم به إسرائيل من تغيير على الأرض، تجزئةً لها وللمجتمع الفلسطيني، وخنقًا بطيئًا للشعب، في الوقت الذي تنشغل فيه السلطة بالشؤون اليومية للمواطنين، كما عبر عن ذلك أبو مازن في كلمته بمناسبة أربعين الاحتلال.

السؤال الكبير هو: كيف لنا أن نواجه هذا الوضع؟

كثر الحديث هذه الأيام عن الحل من خلال كونفدرالية أردنية فلسطينية. ودعوني قبل أن أقدم أي اقتراح بهذا الخصوص، أن أنبه بأن هناك فرقا كبيرا بين الكونفدرالية الوسيلة

والكونفدرالية الغاية. فالأولى ستجر الأردن وفلسطين، أو بالأحرى الفلسطينيين، إلى منزلق خطير يودي بفلسطين كأرض وشعب، ويحول الفلسطينيين إلى جالية أردنية تقيم على أرض إسرائيل. أما الثانية فهي صيغة تعاونية أو اتحادية لا يمكن أن تتحقق إلا بإقامة الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين أولاً، ثم اتفاق الأردن وفلسطين بالتفاوض على صيغة الاتحاد أو التعاون ثانيًا. وهنا أود أن أشدد على أن الحفاظ على الهوية الأردنية يساوي في الأهمية الحفاظ على الهوية الفلسطينية على أرض فلسطين. إن فلسفة فك الارتباط، الذي يتعرض للانتقاد هذه الأيام من رجال الأعمال الفلسطينيين، قامت على هذا المفهوم من أجل تجسيده على الأرض، أي أن الفلسطينيين في الأرض المحتلة هم شعب متميز، وليسوا جالية أردنية. وإذا كان هناك اعتراضات على فك الارتباط، فهي في الأساس اعتراضات على انحرافات في التطبيق الإداري للمفهوم، وهو أمر يمكن معالجته. أما أن يتطور الاعتراض لينسف المفهوم نفسه، فهذا تمهيد غير واع لشطب فلسطين والهوية الأردنية، سواء بسواء.

ونعود إلى السؤال: كيف نخرج من المأزق؟

أعتقد أن السبيل إلى ذلك هو الانتقال من موقع المتلقي إلى موقع المبادر... إن ما يمكن استخلاصه من كل ما قدمت هو أن السياق الذي اعتمد حتى الآن لتطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على فلسطين أثبت أنه سياق فاشل ولا بد من تغييره. وهذا التغيير يمكن أن يتم إما:

أولاً: بمطالبة السلطة الوطنية الفلسطينية المجتمع الدولي بوضع الضفة والقطاع تحت الوصاية الدولية، كما فعلت الأمم المتحدة في السنوات القليلة الماضية مع تيمور الشرقية التي وضعت تحت الإدارة الدولية وأصبحت الآن دولة مستقلة، وكما فعلت أيضًا في كوسوفو التي يناقش استقلالها حاليًا في مجلس الأمن بناء على تقرير المبعوث الدولي أتيساري.

وثانيًا: إذا وجد من يعترض على وضع الضفة والقطاع تحت الإدارة الدولية، فعلى السلطة الفلسطينية أن تحل نفسها، الأمر الذي سيعيد إدارة الضفة والقطاع إلى دولة الاحتلال بحكم مسؤوليتها الدولية. إن مثل هذا الإجراء يتطلب تشكيل خلية فكرية تقوم بدراسة كل جوانب هذا الإجراء لاتخاذ الخطوات المناسبة لإطلاق دينامية جديدة من شأنها أن تضع إسرائيل أمام خيارين: إما أن تقبل بحل الدولتين، أو تواجه احتمال حل الدولة الواحدة ذات القوميتين الفلسطينية والإسرائيلية. أما الدينامية التي أشرت إليها فستنشأ عن حرص إسرائيل على الحفاظ على يهودية الدولة التي تشكل صلب الحركة الصهيونية، وبعبارة أخرى، علينا أن نضغط علىكعب أخيل الإسرائيلي، وهو البعد الديموغرافي. أما إذا بقي السياق ذاته فأخشى أن يأتي اليوم الذي يصبح فيه حل الدولتين أقرب إلى النكتة منه إلى الحقيقة. فنفقد فلسطين إلى الأبد ونهيء ميدانًا جديدًا للصراع، لكن هذه المرة ليس بين إسرائيل والفلسطينيين، بل بين الفلسطينيين والعرب الآخرين.

وأخيرًا لم أسمع أن احتلالاً استمر لأربعين عامًا. إن الاحتلال الذي يطول يصبح استعمارًا أو ضمًّا، وهذا هو الحال في فلسطين اليوم. وما دام الأمر كذلك، فليوضع الفلسطينيون من جديد بدعم سياسي ودبلوماسي عربي، وبخاصة من مصر والأردن، في إطار النضال من أجل التحرر الوطني قبل فوات الأوان.

كلمة د. طاهر كنعان

دولة الرئيس، أخواتي وإخواني،

أعاني حاليا من صعوبتين: الأولى، صعوبة التحدث إلى هذا الجمع الكريم الذي لا أتصور أن لديّ معلومات أو فهم للقضية الفلسطينية وللنكبة الأولى والنكبة الثانية أكثر من أي واحد فيه. والصعوبة الثانية هي التحدث بعد «أبو السعيد»، إذ إنني أكاد أتفق حرفيا مع معظم فقرات حديثه، فماذا أضيف من جديد!

هناك جانبان للموضوع المطروح في هذا اللقاء: جانب قراءة الماضي، وجانب قراءة المستقبل. قد يكون المفتاح لكلمتي هو حديث جرى بعد حرب العبور بين محمد حسنين هيكل وكيسنجر، وكانا بصدد نقاش الوضع السياسي بمحاذاة حرب ١٩٦٧. فقال كيسنجر لهيكل: إسمع، تريد أن نتوصل إلى كلام منتج؟ إذن لا تحدثني عن الماضي، ولا تقل أمس، وفي تلك السنة ١٩١٩، وتلك السنة ١٩٤٨. حدثني ما يتعلق بالآن وغدًا. كذلك لا تحدثني عن بلد أو جهة غير مصر! هذه المبادلة الكلامية تلخص زبدة النظرة الإسرائيلية للقضية الفلسطينية.

أبو السعيد وأنا شهود حضر كلانا النكبتين الأولى والثانية، بالرغم من صغر سني وقت النكبة الأولى. ومنذ ذلك الحين عاصرنا ردود الفعل في تفسير كل من النكبتين والصدمات التي أحدثتها كل منهما. وهي تفسيرات متشابهة لكلا النكبتين. فبعد النكبة الأولى في ١٩٤٨، صدر كتاب المرحوم قدري طوقان **بعد النكبة**، وصدر لقسطنطين زريق كتاب **معنى النكبة** وصل به بعد نكبة ١٩٦٧ كتابه **بعد النكبة مجددًا**. وفي ١٩٦٧ صدر كتاب لوليد قمحاوي بعنوان **النكبة والبناء**. وخلاصة تفسير النكبتين، أو النكبة الأولى على الأقل، في تلك الأدبيات تركز على غياب الحداثة، وعلى الفجوة العلمية والثقافية والتكنولوجية بين العرب وإسرائيل، وعلى التفرق العربي – فقد قيل في النكبة الأولى أن السبع دول عربية هزمت لأنها سبع دول، ولو كانت دولة واحدة لما كانت انهزمت.

وفي ١٩٦٧ بقيت هذه التفسيرات صحيحة، بل ازدادت إسهابا وأضيف إليها بُعد التحليل الاجتماعي. فخرجت مثلاً كتابات أذكر منها **نقد الفكر الديني** للدكتور صادق جلال العظم، الذي تضمن نقدًا اجتماعيًا لظواهر الاعتقاد والخرافات ولعيوب أخلاقية مسلكية اعتمد في وصفها على دراسات عالم الاجتماع المصري حامد عمار، التي تناولت بالتحليل مثلاً ظاهرة «الفهلوة»، أي حين يحاول الشخص تحقيق نتائج والحصول على عوائد أو مكافآت دون بذل الجهد اللازم لتحقيقها. واستمر هذا المنحى النقدي للبُعد الاجتماعي إلى أن اتصل بتأملات هشام شرابي في المجتمع العربي وتحليله ظاهرة الأبوية، أو الأبوية الحديثة. ومن إسهامات هشام شرابي أيضًا تناوله «عيوب التربية الأسرية»، خصوصا لمرحلة الطفولة المبكرة ما قبل المدرسة، وكان أول من لفت النظر إلى ضرورة الاهتمام بها.

واستمر إلقاء اللوم على التفرق والتبعثر العربي، الذي تابع منحاه المتدني المعن في الانحدار إلى أسفل بعد فشل الوحدة المصرية السورية، التي تم إثرها تجيير الفشل في ١٩٦٧ إلى إدانة فكرة القومية العربية والاهتمام ببناء الدولة القطرية.

من جهة المفاهيم المتعلقة بالقومية العربية، نميل بعد التجربة الطويلة إلى الظن بأن نظرة الدول العربية المحافظة في هذا الموضوع، لولا الشك في إخلاصها، كانت أكثر صوابا من نظرة الحركات التقدمية والدول التقدمية، إذ إن مفاهيمها ركزت على بناء الدولة القطرية والنظر للبعد العربي من منطلق التعاضد والتعاون وليس التوحد، على الأقل مرحليًا. لكن أنظمة الدولة القطرية، بحكم غياب الديمقراطية فيها، تصدت للفكرة القومية لأن هذه الأنظمة لم تنبثق عن إرادة الجماهير المعبرة عن مصالحها المصيرية القومية بطبيعتها.

من جهة أخرى، فإن نصيبًا من اللوم في غياب الديمقراطية يقع على الأحـزاب والحركات السياسية الداعية للفكرة القومية ذاتها. فبرامج تلك الأحـزاب والحـركـات وتنظيرها للفكرة القومية شملت أبـعـادًا كثيرة وحرصت على شعارات شتى، ولم يكن منها الحرص على المكوّن والمركب الديمقراطي، لا فيما يتعلق بالمجتمع، ولا فيما يتعلق حتى بالأنظمة الداخلية لتلك الأحزاب والحركات.

في المناخ المذكور بقيت الأنظمة القطرية تجد مصالحها في العلاقات العمودية مع مراكز الصناعة الغربية. هكذا كـان تكوين الدولة القطرية. وبسبب أن القوى التي تصدت للدولة القطرية، أي الحركات القومية، لم تتمتع بالنضج والحكمة في عملها السياسي، كان كل ما فعلته هو أنها شككت وطعنت في شرعية الأنظمة القطرية دون أن يكون لها القدرة على تغييرها، ودون أن تخطط لبناء هذه القدرة. فكل ما نجحت فيه هو بعث الحساسية الأمنية لدى الأنظمة ضد حركات التغيير. وتمأسست هذه النظرة غير الناضجة مع تبني مصر الناصرية للحركة القومية العربية وسعيها إلى نصرة الفكرة القومية العربية ليس عن طريق قوة الإقناع والعمل الدبلوماسي المستند إلى وزن مصر المعنوي المتعلق بموقعها الجغرافي المركزي من الوطن العربي، وبمساحتها وحجمها السكاني، وأيضًا بمكانتها الحضارية الإنسانية والعربية ونفوذها التربوي والثقافي والفني والإعلامي... إلخ. فبدلاً من أن تكون دبلوماسيتها مستندة إلى كل ذلك، اختارت في تعاملها مع الـدول القطرية طرق المجابهة والصدام والأساليب الانقلابية. وليس ذلك بغريب كون تلك الأساليب القمعية ذاتها هي التي نخرت في مناعتها من الداخل.

لم تقتصر أسباب فشل الفكر والحركات القومية العربية على غياب الحذق والاحتراف في عملها السياسي، بل شملت ضعف أو غياب المكوّن الديمقراطي في مفاهيمها وممارستها، وكان هذا المكوّن مستبعدًا في الدولة القطرية ومستبعدًا من الفكرة القومية العربية، على حدّ سواء. وترسخ

ذلك بفضل انخراط العسكر في السياسة والحكم. وكان من أسباب الفشل أيضا ضعف المكوّن الأخلاقي والمناقبي الذي تميزت به حركات سياسية أخرى منافسة للحركات القومية العربية، وإن لم تكن متناقضة معها، وهي بعض الحركات الإسلامية من جهة، وحركة القوميين الاجتماعيين من جهة أخرى. فقد تميزت الحركات الإسلامية أو معظمها، وكذلك الحزب القومي السوري أو القومي الاجتماعي، بالاهتمام بالأخلاق الشخصية والمناقب لمنتسبيها بقدر اهتمامها بقدرة هؤلاء المنتسبين على ترديد الشعارات وتقديم الخدمات اللوجستية.

في المقابل، شهد المحيط العربي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي تراكمًا كميًّا هائلا في مجالات الصحة والتعليم ومخرجاتها، ما يهيئ مواد خام كثيرة للتحديث الحقيقي والفعل السياسي الحقيقي لولا أن ذلك التراكم الكمي لم يقابله أي جهد من أي جهة، أو أي طرف قطري أو قومي أو حركات سياسية، من أجل البناء الحقيقي للأمة، بما في ذلك بناء التماسك الاجتماعي والمواطنة.

في رواية شهيرة، لعل معظم الحضور الكرام قرأوها أو شاهدوها في السينما، هي رواية هربرت ج. ويلز (١٨٦٦-١٩٤٦) **آلة الزمان** H. G. Wells, *Time Machine* حين يرتحل البطل إلى المستقبل راكبًا آلة الزمان، يجد أن البشرية قسمت إلى قسمين بعد حرب كارثية أصابت الكوكب الأرضي. قسم من البشر كانوا تحت الأرض، ووُجودهم تحت الأرض حماهم من الإشعاعات والتدمير الذي أنزلته الحرب. فاستمروا في الحياة في ظلمات الأنفاق كمجتمع صناعي متقدم لأجيال كثيرة فقدوا خلالها القدرة على احتمال ضوء النهار فلا يخرجون من الأنفاق إلا في الليل. وتحولوا إلى كائنات متوحشة ضمن مجتمع مستغل وظالم يعمل على استغلال البشر الذين بقوا فوق الأرض. وهؤلاء عبارة عن بشر في هيئاتهم الخارجية، لكنهم قطيع من الغنم في سلوكهم الاجتماعي، سوى أنهم قادرون على النطق والكلام أثناء انصرافهم إلى حياة الدعة، من أكل أو شرب أو مرح أو مجرد ممارسة الكسل في الحدائق الغناء التي أينعت بعد تلاشي آثار الحرب الكونية، إلى أن يدعوهم نفير في مراكز تجمع يمشون إليه كالمنومين حيث يفترسهم سكان الأنفاق للغذاء، وربما للكساء أيضًا! وفي أحد مشاهد الرواية يحدث أن بطل الرواية المرتحل من الزمان الماضي يشاهد إحدى الفتيات من بشر «فوق الأرض» تزل قدمها فتسقط في النهر. ولدهشته البالغة يرى أن رفاقها، من كانت معهم تركض وتمرح منذ قليل، ينظرون إلى سقوطها وإشرافها على الغرق بكل عدم الاكتراث المتصوّر، وكأنه لم يحدث شيء! وسرعان ما أدرك البطل أنه لا يوجد بين أفراد هذا «القطيع» من البشر أي رابط. فعندهم أشكال البشر دون أن تكون بينهم أي وشائج اجتماعية أو عاطفية تربط أي فرد منهم بأي فرد آخر. ومن ثم فهم مستفردون ليكونوا صيدا سهلاً جدًّا للسكان الموجودين تحت الأرض، الذين يخرجون في الليل ويصيدونهم

ويذبحونهم مثل الغنم ويأكلونهم. على مثال ذلك في عصرنا الحاضر وظروفنا الراهنة، نرى أن الرابط الاجتماعي أو التعاطف الإنساني الذي يجعل الفرد يضحي من أجل المجموع هو الغائب الأكبر في المجتمع الاستهلاكي الكومبرادوري الذي تبشر به عقيدة التخاصية الرائجة حاليا.

الواحات القليلة أو النادرة في صحراء الانحلال الخلقي الذي يعم معظم العالم العربي تكاد تقتصر على بعض الحركات الإسلامية ومنتسبيها، الذين هم، إضافة إلى تميزهم عمومًا بأخلاق كريمة ومناقب جيدة، مستعدون للتضحية حتى بالحياة ذاتها في سبيل مثلهم العليا. وقد أهَّلهم هذا لكي ينخرطوا في التيار المقاوم للاحتلال الإسرائيلي والهيمنة الأمريكية، ويصبحوا جزءًا حاسمًا من الجماهير الشعبية لهذا التيار. فيما عدا هذه المزايا، فإن هذه الحركات، باستثناء واحدة سنذكرها بعد قليل، تكاد تكون بمعزل ناء عن العصر الحديث ومقتضياته وأساليبه في العمل السياسي والنضالي المثقف الناضج. لكني أسارع إلى القول إن اللوم ليس عليهم! اللوم على كل النخبة المثقفة التي اتصلت بالغرب واستحضرت أيديولوجيات الغرب المتنوعة، من ماركسية وشيوعية ووجودية... إلخ.. وهذه الأيديولوجيات صارت هي التي تحرك الثقافات السياسية لمعظم الحركات السياسية بحيث يعرف منتسبوها عن ماركس وهيجل أكثر مما يعرفون عن الفروق بين ابن خلدون وابن تيمية، أو بين ابن رشد وابن عربي، أو أي من الرموز البارزة في التاريخ الإسلامي. تصرفت الحركات والأحزاب القومية واليسارية والتقدمية بعامة، وهي الممثلة للنخبة الناشطة سياسيًا، دون اكتراث بالحركات الإسلامية إلا في نطاق اعتبارات المنافسة السياسية الضيقة، وكأنه لا يوجد ٢٠٠ مليون عربي لهم دين، وتصلي الكثرة منهم خمس مرات في اليوم، ويؤمون المساجد، ويدينون بعقيدة اسمها الدين الإسلامي، وكأن ليس هناك قضية اسمها تصالح الدين مع العصر والحداثة مطلوب منهم التعامل معها. فبقوا في معزل وكأن هذا لا يعنيهم. فهذه النخبة التي اشتغلت بالسياسة لا يعنيها أن معظم الناس في هذا الوطن مسلمون.

الاستثناء في هذا الظلام الدامس هو حزب الله في لبنان. فعندما نتكلم عن حركات تحرر وطني نقول فيتنام وما فعلته فيها أمريكا، وما فعلت هي في أمريكا. لكن هذا المثال مثال أجنبي غير قابل للتقليد عندنا. حركة تحرير فيتنام وحركات التحرير في أمريكا اللاتينية، بالرغم من إعجابنا الشديد بها، لم تحدث أثرًا يذكر على مسلكيات النخبة في أي قطر عربي كونها غريبة عنا وظروفها مختلفة عن ظروفنا.

لكن فجأة، ينبثق في وطننا العربي، بل في جزء صغير من هذا الوطن، في لبنان، هذا الجزء الصغير، وكما ينبلج الفجر وينفلق الإصباح، يأتي حزب الله، وهو من الخامة الشعبية ذاتها في كل قطر عربي، ليضرب المثال الهائل في كيفية التعامل مع العدو الإسرائيلي وردعه وصد عدوانه. وأستبق بعض من صادفتهم يبخسون هذا المثال

بقولهم: صحيح، عمل حزب الله عملاً عظيمًا، لكن ما الثمن وما الكلفة؟ هنا أعترف بذهولي الشديد حين أجابه بهذا السؤال. عقلية البازار هذه هي سبب المصائب! ما معنى السؤال عن «الثمن» يوجه لمن يضحون بحيواتهم ذاتها؟ من لم يناضل ومن لم يساند المناضلين يؤرقه «الثمن» والكلفة. من دفع الثمن ليس صاحب السؤال، بل هو الذي استشهد، ومن ترملت زوجته وتيتم من لم تقتله القنابل العنقودية من أبنائه، ومن انهدم بيته تحت القصف. واحد يضحي بحياته ولا يبالي بالثمن، وآخر يحسب أحجار الجسور المهدمة والنقود، ويقول: عظيم الذي عملتموه، لكن كم كانت الكلفة. هذه العقلية عقلية بازارية، دعوني أسميها. هذه العقلية، بل والنفسية، هي التي جعلتنا، حين فوجئنا بهذا الاستثناء المتمرد على الهزيمة والخنوع، يصيبنا الهلع، فنبادر إلى وضع هذا الاستثناء في «كرانتين» أو «عزل صحي» نقيم حوله ستارًا كثيفًا من التشويه والتشريح، ونحيطه بالحرب السنية الشيعية والمذهبية وجند الشام وفتح الإسلام، وقصص لا تدري من أين جاءت ولا من أتى بها!

لكن لماذا أصر على تسمية أداء حزب الله الاستثناء؟ ذلك ببساطة بسبب مميزاته الآتية:

- لأنه ظاهرة تتفوق بكل مقياس على كل ما شهده تاريخنا الحديث من تصدٍّ لواقع التخلف والهزيمة والانحلال الخلقي.
- لأنه أحدث في المجتمع المحلي في جنوب لبنان تماسكًا اجتماعيًا على النقيض المطلق من قطيع هربرت ج. ويلز في **آلة الزمان**. وعزز الحزب هذا التماسك الاجتماعي بالتنظيم المؤسسي المتفوق للخدمات الاجتماعية من صحة وتعليم وإسكان. فمستشفى الرسول الأعظم في ضاحية بيروت الجنوبية يضاهي في مستوى خدماته، بل يتفوق في بعض الاستعدادات التقنية، على مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت.
- لأنه ضرب الأمثال في التضحية بمداها الأقصى ومعناها الأنبل، وهو الاستشهاد في القتال مع نخبة الجيش الإسرائيلي، لواء جولاني، وليس بالانتحار المجاني وسط المدنيين. ويشارك في التضحية بمستوياتها المختلفة جميع الشعب المجند في مجتمع الجنوب لمجابهة الشعب المجند عند العدوّ الإسرائيلي!
- لأنه أبدع في التخطيط للاستعداد والاستخبار وإدارة الحرب واستيعاب السلاح والتكنولوجيا حتى حدودها القصوى القاطعة. وفعل كل ذلك مع إثبات المتانة الخلقية والمناعة العصبية على اختراقات العدو الاستخباراتية وجواسيسه وطابوره الخامس.
- لأنه فعل كل ذلك بنفَس طويل هادئ وراسٍ كالجبال، مع التحلي «بالحلم مع الاقتدار»، والممارسة الدائبة لأعضائه ومناصريه بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، مصداقًا للذكر الحكيم: ﴿*والعصر إن الإنسان لفي خسر*

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. ﴾

هذه الظاهرة الاستثنائية، ظاهرة المقاومة الرادعة من خلال تجنيد الشعب، لا يمكن أن تكون مقبولة للأعداء من قوى عالمية وقوة إسرائيل الإقليمية. فتتركز الجهود حاليا على فرض كرنتين فكري وإعلامي وديني عاطفي لمنع انتشار هذا المضاد الحيوي الذي دخل في الجسم العربي ويراد حصره والقضاء عليه، أو على الأقل فرض «العزل الصحي» أو الكرنتين لعزله عن سائر الأوعية الدموية في أوصال الجسم العربي الغائب في غيبوبة.

أما المستقبل فقد رسمه لنا أحد عباقرة الاستراتيجية في تاريخ الفكر الاستراتيجي الحديث منذ عام ١٩٤٧. يقول: «إن الشخصية السياسية للقوة الإسرائيلية كما عرفناها حتى الآن هي نتاج العقيدة الصهيونية من جهة، والظروف التاريخية من جهة أخرى. العقيدة ورثها قادة إسرائيل الحاليون في ٤٧ من الحركة التي تعود إليها أصولهم السياسية، والظروف هي ظروف القوة التي ما برحوا يمارسونها طيلة العقود الماضية. ومن العقيدة الأصلية نجد أنه ما من شيء قد تم نبذه. العقيدة ما زالت هي ذاتها بأن أرض فلسطين يهودية، وأن التخلص من الفلسطينيين الطارئين على هذه الأرض أمر حتمي، والتأكيد على عدد من المفاهيم التي تتعلق تحديدا بإسرائيل نفسها، على اعتبارها الملجأ الآمن الوحيد لليهود في عالم يبغض اليهود، وبعلاقات القوى داخل إسرائيل. الأول من بين هذه المفاهيم هو التناقض المتأصل بين العقيدة الصهيونية من جهة، والحقوق الفلسطينية والقومية العربية من الجهة الأخرى. ولهذا المفهوم مضامين عميقة فيما يتعلق بسلوك إسرائيل على الصعيد الدولي، وهو يعني استحالة أن تفترض تل أبيب جديا وجود أهداف مشتركة بينها وبين الدول العربية التي تعتبرها إسرائيل قومية التوجه.... »

هذا الموقف الإسرائيلي في رأي هذا المفكر الاستراتيجي «سوف يتواصل طيلة المستقبل المنظور. وقد تظهر بعض التباينات في تجليات هذا الموقف، لاسيما حين يريد الإسرائيليون أن يحصلوا على تنازلات معينة من العرب. يمكنهم أن ينحوا جانبا لفترة مؤقتة بعضا من مظاهر سياساتهم، مخفين مؤقتا نواياهم العدوانية الحقيقية. وحين يحدث ذلك نجد هناك دائما فلسطينيين وعربًا يقفزون إلى الواجهة، معلنين بنواجذ فرحة أن الإسرائيليين قد تغيروا؛ بل إن بعضهم سيحاول ادعاء الفضل في أنهم هم الذين أحدثوا مثل هذا التغيير. لكننا يجب أن لا نسمح لهذه المناورات التكتيكية بأن تضللنا. فهذه الخصائص التي تسم السياسة الإسرائيلية، مثلها مثل المعطيات التي تنبثق منها، هي من صلب الطبيعة الداخلية للسياسة الإسرائيلية، وستبقى مستمرة معنا، سواء كانت في الخلفية أو المقدمة، إلى أن تتغير الطبيعة الداخلية للصهيونية والقوة الإسرائيلية.»

هنا يصل العالم الاستراتيجي إلى المفهوم الثاني من

المفاهيم المهمة في النظرة الإسرائيلية المعاصرة، ألا وهو «شعب الله المختار» المعصوم عن الخطأ. «فالمفهوم الإسرائيلي للقوة الذي لا يسمح بوجود بؤرة تنظيمية خارج الحركة الصهيونية ذاتها يتطلب أن تظل القيادة الصهيونية المستودع الوحيد للحقيقة. وعلى قاعدة مبدأ «المعصومية» هذا، ينهض الانضباط الحديدي لتجمعات اليهود ضمن الحركة الصهيونية. وهكذا ليس ثمة ما يجبر القيادة الإسرائيلية على التراجع في وجه قوة أعظم.»

يسترسل هذا المفكر الاستراتيجي بالقول: «من الواضح أنه لا يمكن للفلسطينيين أو العرب أن يدخلوا في المستقبل القريب في علاقة سياسية حميمة مع إسرائيل، بل يجب عليهم أن يظلوا على نظرتهم إليها بأنها مزاحم وليس شريكًا في الساحة السياسية بحال من الأحوال.... إن هذه الاعتبارات تجعل التعامل مع السياسة الإسرائيلية أصعب من التعامل مع قادة عدوانيين أفراد من طراز نابليون وهتلر. وفي هذه الظروف، من الواضح أن العنصر الرئيسي في أي سياسة فلسطينية عربية تجاه إسرائيل يجب أن تكون قائمة على أساس احتواء الميول التوسعية الإسرائيلية احتواء بعيد المدى صبورا، لكنه أيضا حازم ومثابر.»

«إن الضغوط الإسرائيلية على المؤسسات الحرة في العالم الغربي هي أمر ممكن احتواؤه من خلال إدخال قوة مضادة بصورة دؤوبة ونشيطة على كل موقع يحتله النفوذ الصهيوني في ساحات العالم الجيوسياسية، بما يوائم التغيرات ويحبط المناورات في السياسة الإسرائيلية. ومن الممكن مواجهة إسرائيل بصورة ناجعة لا من خلال أعمال متفرقة تجسد الأهواء المؤقتة لهذه الدولة العربية أو تلك، بل فقط من خلال سياسات ذكية طويلة الأمد يقوم بها الفلسطينيون والعرب وجميع الناهضين للسياسات العنصرية الإسرائيلية، سياسات ينبغي أن لا تقل حذقا عن سياسات إسرائيل من حيث الثبات على الهدف، ومن حيث غنى وسائل التطبيق وثراؤها.»

الذي نصح الفلسطينيين والعرب بهذه الاستراتيجية هو جورج كينان George Kennan حين كتب في المجلة الشهيرة **فورن أفيرز** *Foreign Affairs* في عام ١٩٤٧ مقالة مغفلة التوقيع، عرفت فيما بعد بالمقالة س Article X، إلى أن أعلن عن اسم كاتبها في وقت لاحق. في هذه المقالة ما عليكم إلا أن تستبدلوا عبارة «إسرائيل» بعبارة «الاتحاد السوفييتي» وعبارة «الصهيونية» بعبارة «الشيوعية» من جهة، وأن تستبدلوا، من جهة أخرى، عبارة «الفلسطينيين والعرب» بعبارة «أمريكا والغرب» حيثما وردت تلك العبارات في المقالة حتى تجدوا تطابقًا مذهلاً بين الاستراتيجية الصالحة في رأينا للفلسطينيين والعرب في مواجهة إسرائيل والصهيونية. ذلك للأسباب ذاتها التي بموجبها قام جورج كينان بصياغة استراتيجية «الاحتواء» الصالحة في رأيه لكي تنجح أمريكا والغرب في المواجهة القائمة حينذاك تجاه الاتحاد السوفييتي عندما كان

الغرب، بوجود القوة النووية السوفييتية، غير قادر على محاربة الاتحاد السوفييتي بالحرب الساخنة، وحيث كان التفوق العسكري عند أي من الطرفين غير مجدٍ بوجود القوة الرادعة، ولو لم تكن متفوقة، عند الطرف الآخر. فنتج عن ذلك أن تبنى الغرب استراتيجية «الاحتواء» طيلة الحقبة التي امتدت منذ أعلن تشرتشل بعد الحرب العالمية الثانية أن «ستارًا حديديًّا» يتعين إسداله على الاتحاد السوفييتي ومعسكره، إلى أن نجح الاحتواء وإطاره من «الحرب الباردة» في إحداث «الانفجار الداخلي» Implosion في ذلك المعسكر وانهياره.

ولقد شرع العرب غريزيًّا بعد هزيمة ١٩٦٧ بتبني استراتيجية «الاحتواء» من خلال لاءات الخرطوم (لا اعتراف بإسرائيل ولا مفاوضات ولاصلح). وإلى الدرجة التي كانوا فيها جديين في هذه السياسة، حققوا نجاحات في إقامة عزل عالمي، أو ستار حديدي على إسرائيل، شمل معظم دول العالم الثالث، وتكلل بتصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة بغالبية أعضائها على مساواة الصهيونية بالعنصرية. وكانت تلك السياسة الناجعة ستنتهي حتمًا بتآكل المشروع الصهيوني وانهياره لولا أن الوهن أصاب العزيمة العربية ونخر في التضامن العربي بعد حرب ١٩٧٣، ففقدت الأنظمة العربية الجدية في المثابرة على سياسة الاحتواء، واستسلمت للإرادات الخارجية التي منحتها ضمانات للاستمرار والبقاء في السلطة، ولو على حساب مصير الوطن والأمة، إلى أن وجدت أن الأفضل من استراتيجية الاحتواء هو سياسة السلام الذي اعتبرته «خيارها الاستراتيجي» الذي أصبح أساس «المبادرة العربية». وبهذه المناسبة اكتشفت أن أبا الطيب المتنبي له رأي بالمبادرة العربية جاد به في شعره، وذلك حين وصله خبر أن الفارس الفلاني شج رأس الفارس العلاني، فلم يردّ عليه هذا الأخير ولم يكل له الصاع صاعين، بل أخبر الجميع أنه لن يفعل أي شيء من هذا القبيل بحجة أنه ملتزم بالصبر والحلم وبأن السلام خياره الاستراتيجي! فقال المتنبي:

كل حلم أتى بغير اقتدار، حجة لاجئ إليها اللئامُ
من يهن يسهل الهوان عليه، ما لجرح بميت إيلامُ

وقد حدث أن صديقًا لي استشهد بهذا البيت في مقالة في جريدة ضمن نفوذ إحدى الدول الرائدة للخيار الاستراتيجي في السلام، فحذف من المقالة لأنه لا يجوز وصف مالكي الجريدة بـ «اللئام». ومع أني لا أدري لماذا اختار هؤلاء الاعتراف بأن حلمهم وخيارهم الاستراتيجي في السلام هو «حلم أتى بغير اقتدار!»، فمن باب التقدير لفضيلة الاعتراف بالذنب قمت بتحوير بيت المتنبي ليقرأ:

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لا يدعيها الكرام!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ■

■ حسن الكرمي في ذمّة الله

■ تأمّلات شبابيّة

■ بحضور دبلوماسيّين وملحقين ثقافيّين من سفارات عربيّة
الاجتماع التشاوري للمؤتمر الشّبابيّ الثّالث

■ في لقائه مع أعضاء من اتحاد المحامين العرب
الأمير الحسن يدعو إلى ميثاق مواطنة عربي وقانون للسّلم
ويؤكّد أهمية حماية الشعب الفلسطيني وسدّ فجوة الكرامة الإنسانيّة

■ مع أعضاء المنتدى
د. هشام الخطيب
أ.د. أحمد سعيد نوفل

■ من مكتبة المنتدى

■ مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات

■ أكاديميّة العالم الإسلاميّ للعلوم

■ من إصدارات المنتدى الجديدة

حسن الكرمي في ذمّة الله

ندب سموّ رئيس المنتدى وراعيه مستشارَهُ الأُستاذ الدّكتور هُمام غَصيب، مدير إدارة الدّراسات والبرامج في المنتدى، لإلقاء كلمته في حفل تأبين المرحوم حسن سعيد الكرمي، المُعجميّ العربيّ الكبير، الذي توفي في عمّان بتاريخ ٥ أيار/مايو ٢٠٠٧. وأقيمَ الحفلُ في مَجْمع اللّغة العربيّة الأُردنيّ بدعوة من رابطة الكتّاب الأُردنيّين. وبدأ مندوب سموّ الأمير الحسن الكلام بقوله:

شرّفَني صاحبُ السُّمُوّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال – حفظه الله ورعاه – بأنْ نَدَبَني لألقيَ كلمتَهُ في هذا الحَفْل المهيب؛ وهو الذي اقترحَ إقامتَهُ أصلاً وحرّكَ الأمر وفاءً لأستاذه. فسموُّه أوْفى الأوْفياء؛ والوفاءُ أمّ الفضائل. ولكَمْ سمعْتُهُ يُشيدُ بفضائل أساتذته وأفضالهم؛ خصوصًا الأساتذة الثّلاثة الذين علّمُوهُ العربيّة: الأستاذ حسن الكرمي والشّيخ إبراهيم القطّان والشّيخ نديم الملاّح، رحمهم الله جميعًا وأسكنهم فَسيحَ جنانه.

كما كان يزورُ أبا زياد في بيْته بين الآونة والأُخرى. ولوْلا التزاماتٌ طارئة، لكان سموُّهُ في مقدّمتنا: يُؤبّنُ ويرثي ويَترحّمُ.

رحمَ اللهُ أُستاذَنا الكبير أبا زياد، وألهَمنا جميعًا جميلَ الصّبْر وحُسْنَ السُّلوان.

واسمحوا لي الآن بأنْ أُلقيَ كلمةَ سُمُوّ راعي الحَفْل.

كلمة صاحب السُّموّ الملكي الأمير الحسن بن طلال
في حفل تأبين الأديب والإعلامي حسن الكرمي

«حسن الكرمي: العلامة؛ المعلم؛ الإعلامي» *

السبت؛ ١٦ حزيران/يونيو ٢٠٠٧

بسْم الله الرّحمن الرّحيم
والصّلاةُ والسّلام على نبيّه الأمين
وعلى آلِه وصَحْبِه ومَنْ والاهُ أجْمعين
السّلامُ عليْكم ورحمةُ الله وبركاتُه:

نجتمعُ في هذه الأمسيةِ الحانية الرقراقة لنتذكَرَ بكلِّ محبة واعتزاز علَمًا من أعلام اللغة والإعلام: أُستاذي حسن الكرمي (أبا زيادٍ) الذي كان لا يُبارى في شغفِه بلُغةِ الضاد، ولا يُجارى في ولَعِه بالمعجم العربيّ.

لقد كان العلْمُ لديْه تمامًا كما قال الإمام عليّ (كرّم الله وجْهَه) «دِينٌ يُدانُ به؛ به يكسبُ الإنسانُ الطاعةَ

* نُشرت في جريدة **الدّستور** الأُردنيّة بتاريخ ٢٢/٦/٢٠٠٧.

في حياتِه وجميلَ الأُحدوثةِ بعد وفاتِه؛ والعِلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه.»

عرفتُه معلّمًا ومربّيًا وإنسانًا كبيرًا يؤمنُ بقوّة الفكر وقدرته على إحداث التغيير المبدع. فجاءت مساهمتُه في مجال الإعلام تجسيدًا لإيمانه بأنّ الإعلام العالِمَ الحكيم إنّما ينهضُ بدوْر المعلّم والمربّي وناقلِ الخبَر الصادق الصدوق. فمن منّا لا يذكرُ بحنين ودفء برنامج «قول على قول» الذي أمتعَ الملايين من المستمعينَ العرب على امتداد ثلاث وثلاثين سنة، وجُمع في تلك المجلّدات القَشيبة التي ستبقى مَعينًا لا ينضب لمحبّي ديوان شعرنا المَهيب؟ ولعلّ قوْلَ الجاحظ في هذيْن البيتيْن يصوّرُ التلاقي الذي جمعَ دوْمًا بين حسن الكرمي ومستمعيه وَقرّائه؛ إذْ يقول:

يَطيبُ العيْشُ أنْ تلْقى حَكيمًا
غَذاهُ العلْمُ والفَهْمُ المُصيبُ
فَيكْشفُ عنْكَ حَيْرةَ كُلِّ جَهْلٍ
وفَضْلُ العِلْمِ يَعْرِفُهُ اللَبيبُ

الأخواتُ والإخوة:

يقول الإمام علي (كرّم الله وجهَه): «كلُّ إناء يَضيقُ بما جُعلَ فيه إلاّ وعاء العلْم فإنّه يتّسعُ». وهذا حالُ فقيدنا الغالي، صاحب المنار والمُغني والهاديّ، الذي لمْ يتوقفْ عن طلب العلْم والعمل بذكائه المتوقّد وذاكرتِه الحاضرة وجَلَدِه المعهود؛ فكان إنتاجُه بارزًا شامخًا في مجالِ العمل المَعجميّ.

أختمُ حديثي عن علاّمتِنا الجليلِ بهذهِ الأبيات للإمام علي (كرّم الله وجهَه):

ما الفخْرُ إلاّ لأهْلِ العلْمِ إنّهُمُ
عَلى الهُدى لِمَن اسْتَهْدى أَدلاّءُ
وقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ ما كانَ يُحْسِنُهُ
والجاهِلونَ لأهْلِ العلْمِ أعداءُ
فَفُزْ بعلْمٍ تَعِشْ حيًّا به أبدًا
النّاسُ موْتى وأهْلُ العِلْمِ أحياءُ

ستبقى ذكرى أبي زياد حيّةً عطرة في قلوبنا وعقولِنا. وستبقى أعمالُهُ اللغويّة والمعجميّة منارةً لنا جميعًا.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيحَ جنانه مَعَ الأبرار والأولياء. وسلام عليك يا أبا زياد؛ سلام عليك يا أُستاذي العزيزَ الجليل.

أحيّيكمْ؛ وأسلِّمُ عليْكم. ■

تـأمُّـلات شـبـابـيّـة*

الأُستاذ الدّكتور هُمام غَصِيب**

الشّباب فوَران وثوَران. هم هَبّات ومَيْعات؛ أنّات وآهات؛ ارتعاشات وشهقات. ذلك أنّهم كالوتر المشدود: كلّ نأمة أو نسمة أو همسة تُصدرُ نغمة أو رنّة أو هزّة. فهم كتلة أحاسيس. وتكون النّغمات عذبة شجيّة أحيانًا، ونشازًا يُوجعُ الأُذن والفؤاد أحيانًا أُخرى.

ولا شبابَ من دون شيب؛ ولا شيبَ من دون شباب. فالأشياء تُعرَف بأضدادها. إلاّ أنّ الصّحيح أنّ الشّبابَ والشّيب مُتتامّان مُتكاملان في طيْفٍ واحد من الظّلال والألوان؛ بل إنّ الشّباب يكونون أحياناً أقربَ إلى الشّيب، والشّيب أقرب إلى الشّباب.

والشّباب ليس شبابًا واحدًا. فالزّمن يقف للجميع بالمرصاد. وسرعان ما يُحوّل بسوْطه السّحريّ الشّابّ الغرير إلى شابّ يافع فناضج فمُكتهل فكهْل. فكلّ إنسان طفل وشابّ وشيخ في آن: تتمازج فيه الطفولة والشّباب والشّيخوخة بنسب متفاوتة.

وتبقى فُسحةُ الاحتمالات والخيارات الواسعةُ أبرزَ ما يُميّز فترة الشّباب. فتأتي نقطة معيّنة، حين يكون فيها المرء في ميعة الصّبا، يظنّ عندها أنّ الدّنيا دنياه، وأنّ كلّ السّبل مفتوحة أمامه. وبعد ذلك، تضيق فسحة الأمل شيئًا فشيئا، وتتقلّص الاحتمالات والخيارات، حتّى لا يظلّ إلاّ سجن العمر.

وحين تتعدّد الخيارات تزداد الحيرة وتشتدّ المخاطر وتكثر المزالق. عندئذٍ، كيف يمكن أنْ نأخذَ بيد شبابنا وأنْ نوجّههم من دون حذلقةٍ أو فذلكة؟ كيف يمكن أنْ نجعلَهم محرّك الوطن ورافعة الأمّة؛ فيكونوا روّادَ النّهضة وقادةَ التّقدّم؟ كيف يمكن أنْ نساعدَهم على مساعدة أنفسهم في هذا الخضمّ المتلاطم من التيّارات المتضاربة والأزمات المتدافعة والتّطرّفات الهدّامة؟

لا يوجد حلّ سحريّ. والمشكلة أنّنا أكثرْنا من الكلام حتّى ألغى بعضه بعضًا. كما قلّلنا من الأفعال. وما

---

* نشرت في جريدة **الدستور** الأردنيّة بتاريخ ٤/٧/٢٠٠٧.

** رئيس تحرير مجلة **المنتدى**.

أنجزْناه منها كثر فيه الاستعراض. بعثرْنا الجهود ولم نعثر على المعادلات المثلى أو شبه المثلى.

القضيّة هنا تتعلّق – في جوهرها – بانتماء شباب الأمّة إلى روحها الحقّة. وهذه معضلة كبرى لا يمكن معالجتها بمجرّد سَنّ القوانين والأنظمة والتّعليمات، وتطبيق مبدأ الثّواب والعقاب. فليس بمقدورنا مساعدة شبابنا – في النّهاية – إلاّ إذا بدأنا نرعاهم منذ سنيّ حداثتهم الأُولى: نُعيدهم إلى الأُصول والجذور وإلى غرر التّراث؛ نُغذّي وجدانهم بالفنّ الرّفيع والأدب السّامي؛ نَصقل روحهم وفكرهم بإرضاعهم حُبَّ لغتهم واحترامَها؛ نَغرس بذور الحرّيّة الواعية والاستقلال النّاضج في نفوسهم كي يشبّوا عن الطّوق أعزّاء كرماء. فالنّفوس الكسيرة لا تستطيع أنْ تحرّرَ أرضًا سليبة، أو أنْ تبدعَ وتنطلقَ إلى أعلى الآفاق وأوسعها.

كلّ هذا يجب تحقيقه برشاقة ذهنيّة فائقة، وبقلب كبير مرهف، وبعقل راشد راجح. ولا غنى عن التّأثير عن بُعْد: عن طريق القدوة الحسنة، والصّبر الجميل، والفعل النّبيل؛ وليس بالسّوط والوعيد والتّهديد.

وهكذا نكون قد درّبناهم على نهج النّقد البنّاء، والقراءة بين السّطور وتحت السّطور، والاعتماد على الذّات. فتُمسي عُدّتهم الفكريّة والذّهنيّة – متى نضجوا واتّزنوا – قويّة الشّكيمة، راسخة البنيان، ثابتة الأساس. بعد ذلك، ليكن ما يكون؛ فسيصمدون أيًّا كانت الأعاصير.

على أيّ حال، هذه أهدافُ المدى الطّويل. أمّا معركة المدى القصير فتستصرخنا أنْ نضعَ بدائلَ معقولة في متناول شبابنا لكلّ ما يُزيغ بصيرتهم وباصرتهم. كذلك لا بدّ من فتح باب الحوار الحرّ الصّريح. ولا ضيْر من أنْ نسامحهم بين الآونة والأخرى على بدعهم وتقليعاتهم؛ فلا ننقضّ عليهم بالكبت والقهر، محيطين إيّاهم بأمن كاذب يخنقهم بخيوط من حرير، أو بمحاكم تفتيش تُزهق أرواحهم الغضّة. فكيف نتوقّع منهم أن يُناطحوا السّحاب وينشدوا المعالي، ونحن على ما عليه من تخبُّط وبلبلة، ومن غيّ وضلال؟

فلنبدأ عمليّة الإصلاح بأنفسنا – نحن الذين نحسب أنفسَنا قادةَ فكر وسادةَ ثقافة وروّادَ روح ووجدان – عسى أن ننير الطريق لشباب الحاضر والمستقبل. ■

بحضور دبلوماسيّين وملحقين ثقافيّين من سفارات عربيّة

الاجتماع التشاوري للمؤتمر الشّبابيّ الثّالث يؤكّد العمل على إيجاد نموذج فكريّ عربيّ لمساهمة الشّباب في صُنع المستقبل

أكد سيادة الشريف فواز شرف، رئيس لجنة المتابعة للمؤتمرات الشّبابيّة التي يعقدها منتدى الفكر العربيّ كلَّ سنتين مرّة، أن سلسلة المؤتمرات هذه، التي بدأت عام ٢٠٠٤، تسعى إلى إيجاد نموذج فكريّ عربيّ يساهم فيه الشّباب ويتفاعلون في إطاره مع بعضهم بعضًا، بنظرة تتجاوز القطريّة وآفات الفُرقة، من طائفية ومذهبيّة وما إليها، إلى ما يخدم مصلحة الأمة ومستقبلها المنشود.

وأشار خلال افتتاحه الاجتماع التشاوري للمؤتمر الشّبابيّ الثالث صباح الثلاثاء ٢٠٠٧/٥/١٥ إلى أنَّ الشّباب هم مشروع المستقبل الذي يهم الوطن العربيّ بأسره. ومن هذا المنطلق جاء اهتمام المنتدى، وعلى رأسه سموّ رئيسه وراعيه الأمير الحسن بن طلال، بإيلاء قضايا الشّباب العربيّ جانبًا رئيسيًّا في أنشطته المختلفة، وجعل صوت الشّباب مسموعًا في تلك القضايا يعبّرون فيه عن آرائهم ورؤاهم بأنفسهم في صناعة المستقبل.

ودعا سيادة الشريف فواز شرف الملحقين الثقافيّين العرب في عمّان، الذين حضر عدد منهم الاجتماع، إلى المزيد من التعاون مع المنتدى والإسهام معه في العمل على مزيدٍ من توثيق روابط الثقافة والفكر بين أبناء الأمة الواحدة؛ مؤكدًا أنَّ المنتدى كان وما يزال يرتبط بعلاقات وثيقة مع المعنيين بشؤون الفكر على مختلف المستويات.

من جهته، رحَّب د. حسن نافعة، أمين عام المنتدى، بالملحقين الثقافيّين العرب، وتناول في كلمته تركيز المنتدى على التشاور مع المفكّرين والمثقفين والقطاعات المعنيّة في تنفيذ أنشطته. وأوضح أنّ المؤتمر الشّبابيّ الثالث ٢٠٠٨ سيتناول موضوع تطوير مؤسّسات العمل الشّبابيّ العربيّ من منظور الشّباب أنفسهم. فالتوجّه الآن ينصب على تعرّف وجهات نظرهم وطرائق تفكيرهم في عمليّة التطوير هذه، وإيجاد حوار مثمر بينهم وبين القائمين على المؤسّسات يؤدي إلى الإسهام في تحسين العمل الشّبابيّ وتطويره نوعيًّا، وتلبية احتياجات الشّباب ومحاورة أفكارهم بشفافيّة.

وقدَّم د. هُمام غَصيب، مستشار سموّ الأمير الحسن ومدير الدراسات والبرامج في المنتدى، مقترحًا للمؤتمر الشّبابيّ الثّالث أعدّته لجنة مصغّرة برئاسته، ويشتمل على أهداف المؤتمر

ومحاوره وتوزيع جلساته. وبيّن أن اللجنة راعت في هذا السياق أن تحقّق عمليًّا مشاركة الشّباب في مناقشة قضاياهم من خلال ورشات عمل تناقش موضوعات عدّة من بينها: التربية والتعليم؛ الأسرة؛ الصحة والبيئة؛ المواطنة والمشاركة الشّبابيّة في الحياة العامّة؛ التأثير الدّيني والشّباب؛ البطالة وفرص العمل؛ المساواة والمحسوبيّة والواسطة؛ التشريعات والوعي القانونيّ؛ حرّيّة التّعبير.

وأضاف د. غَصِيب أن هذه الموضوعات تندرج ضمن ثلاثة محاور رئيسيّة هي: المؤسسات والقضايا الشّبابيّة، والتشبيك والتواصل مع التركيز على موضوع الشباب والإعلام، بما في ذلك الإعلام الإلكتروني، للخروج بتصور واضح حول «أنسنة الإنترنت»، إضافة إلى بحث مستقبل العمل الشّبابيّ من منظور الشّباب أنفسهم، من خلال مناقشة برامج عمل قابلة للتنفيذ تخدم موضوع الإدارة والتخطيط الاستراتيجيّ في العمل الشّبابيّ.

وقد دار نقاش موسّع في هذا الاجتماع حول عدد من الأمور التنظيميّة المتعلّقة بالمؤتمر وطروحاته.

حضر الاجتماع من الدبلوماسيّين والملحقين الثّقافيين في السفارات العربيّة كلٌّ من: أة. سونيا أبو عازر، القنصل في سفارة الجمهورية اللبنانية؛ أ. زهدي الخطيب، المستشار الثقافي في سفارة الإمارات العربية المتحدة؛ أ. السعيد بوقليع، السكرتير الأول في سفارة الجمهورية الجزائرية؛ أ. عدنان عيسى العيسى، الملحق الثقافي في سفارة مملكة البحرين؛ أ. عبدالله بوتدغارت، الملحق الثقافي في سفارة المملكة المغربية.

يذكر أن لجنة المتابعة الشبابيّة، التي يرأسها الشريف فواز شرف، تضم في عضويّتها: د. حسن نافعة؛ د. هُمام غَصِيب؛ د. إبراهيم بدران، مساعد رئيس جامعة فيلادلفيا/ عميد كلية الهندسة؛ د. سري ناصر، أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأردنيّة؛ د. محمود قظام السرحان، الأمين العام المساعد في المجلس الأعلى للشباب؛ الأرشمندريت الأب د. قيس صادق، مدير مركز الدراسات المسكونية؛ أة. سمر كلداني، مديرة جائزة الحسن للشباب؛ دة. نسرين الشمايلة، المستشارة في المجلس الوطني لشؤون الأُسرة؛ أة. ضياء العوايشة، الباحثة والإعلاميّة؛ أ. حسن بلال التل من المركز الأردني للدراسات والمعلومات/ ممثل جماعة الروّاد؛ أة. جنان الأسعد و أ. حسام نفّاع من مركز الدراسات المسكونية. وعن الأمانة العامة لمنتدى الفكر العربي: أ. كايد هاشم، مساعد مدير الدراسات والبرامج؛ الآنسة هنيدا القرالة، أمينة سرّ المؤتمر الشبابيّ؛ السيدة هديل الزعبي، مسؤولة العلاقات العامة. ■

في لقائه مع أعضاء من اتحاد المحامين العرب

الأمير الحسن يدعو إلى ميثاق مواطنة عربي وقانون للسِّلم ويؤكّد أهمية حماية الشعب الفلسطيني وسدّ فجوة الكرامة الإنسانيّة

دعا سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي وراعيه، إلى سنّ قانون للسلم، مؤكّدًا أهمية المطالبة بمثل هذا القانون، وإلى تقديم الحماية للشعب الفلسطيني. وقال سموّه خلال لقائه بعدد من أعضاء اتحاد المحامين العرب في مقرّ المنتدى صباح الثلاثاء ٢٠٠٧/٦/١٩: إنه لا تنمية من دون عدالة؛ مشيرًا إلى أنّ الذكرى الستين لصدور ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان تصادف العام المقبل. كما نوّه بدعوته المتجدّدة لضرورة إيجاد نظام إنساني عالمي جديد، وجهود سموّه لإدراج مثل هذا النظام في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٨٨، على أساس أن العدالة العالمية كلٌّ لا يتجزأ.

ودعا سموّه في هذه المناسبة أيضًا إلى صوغ ميثاق مواطنة أو مواطنيّة عربيّ، على غرار ما قام به المسلمون الأوروبيّون من إعلان ميثاق لهم خاطبوا من خلاله الاتحاد الأوروبي والمسلمين كافة في أوروبا والعالم الإسلامي، على أساس التزامهم بحكم القانون ومبادىء التسامح وقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتمسّكهم بقيم الحياة والإيمان والحريّة والملكيّة والكرامة. وجاء حديث سموّه في هذا الجانب في ضوء إعادة توجيه رسالة منتدى الفكر العربي مؤخرًا نحو تفعيل المواطنة بما يخدم الصالح العام. وسيكون موضوع الندوة الفكرية السنوية للمنتدى في العام المقبل (٢٠٠٨) عن المواطنة في الوطن العربي.

وفي إشارته إلى الزيارة التي قام بها خلال الأسابيع الماضية إلى السويد، وإلى السّعي لسنّ قانون السِّلم، نوّه سموّه بالرؤى الاسكندنافية في هذا المجال وأهمية الاستفادة منها عبر وثيقة «مختبر كوبنهاغن: التحديات الخمسة»، التي نادت بتقوية الضعفاء، وضمان الحريّة الدينية، وخلق مجال عام للتعايش، وضمان استقلال القضاء، وتجاوز الأجندة الأمنية التي تخطف أجندة التعايش. وأضاف أنّ الستار الذهبي، بعد الستار الحديدي سيء الذِّكر، أصبح يحمي

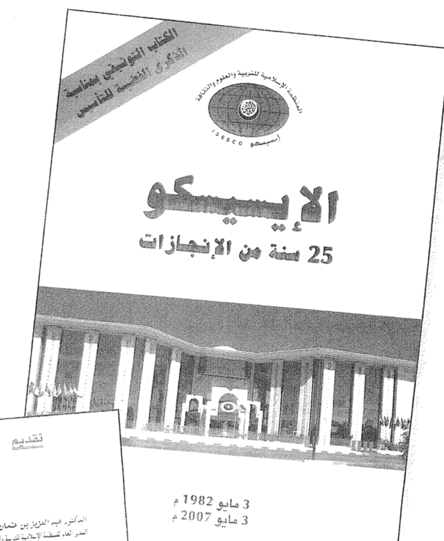
نحو مليار و ٧٠٠ مليون إنسان يستمتعون بكلّ شيء في الدنيا، في حين أن البقية الباقية من البشر خارج هذا الستار تمامًا.

وقال سموّه: لا بدّ من إيجاد سفينة خلاص لإنقاذ الإنسانية المشتركة، وتفعيل الأغلبية المغلوب عليها بالصمت. وأكد في هذا الصدد ضرورة سدّ فجوة الكرامة الإنسانية، والاتفاق على المصطلحات والطروحات داخل البيت العربي، والانتقال من حال التنظير إلى حال التطبيق. ثم أوضح أنه حان الوقت لأن ننتهج طبيعية العلاقات فيما بيننا.

وركّز سموّه في حديثه إلى أعضاء اتحاد المحامين العرب الضيوف على أهمية صوغ استراتيجيّة قومية متداخلة المعارف والنظم، وكذلك أهمية المفاهيم والمشروعات فوق القطرية المتعلقة بالطاقة والمياه والبيئة الإنسانية. ثم قال: إنّ ذلك العنقود هو الذي يجمعنا كما كان الأمر بالنسبة للصُّلب والفحم بالنسبة لنشوء الاتحاد الأوروبي. وكرّر في هذا السياق دعوته لإنشاء صندوق عالمي للزكاة.

وقد جرى نقاش مستفيض على مدى ساعتين بين سموّ الأمير الحسن والمحامين العرب من الحضور، الذين كانوا اختتموا اجتماعًا لهم في عمّان يوم الثلاثاء ٢٠٠٧/٦/١٩. ودار النّقاش حول قضايا عدّة تهمّ الوطن العربي والتنمية وتحقيق العدالة وشؤون المجتمع المدني العربي، الذي يعدّ اتحاد المحامين العرب أحد أبرز مؤسّساته. وجرى الاتفاق على توثيق روابط التعاون بين الاتحاد ومنتدى الفكر العربي، وتوجيه الدعوة للاتحاد للمشاركة في أنشطة المنتدى المقبلة.

حضر اللقاء د. حسن نافعة، أمين عام المنتدى، ود. هُمام غَصِيب، مستشار سموّ الأمير الحسن بن طلال ومدير إدارة الدراسات والبرامج في المنتدى. ■



تقديم

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

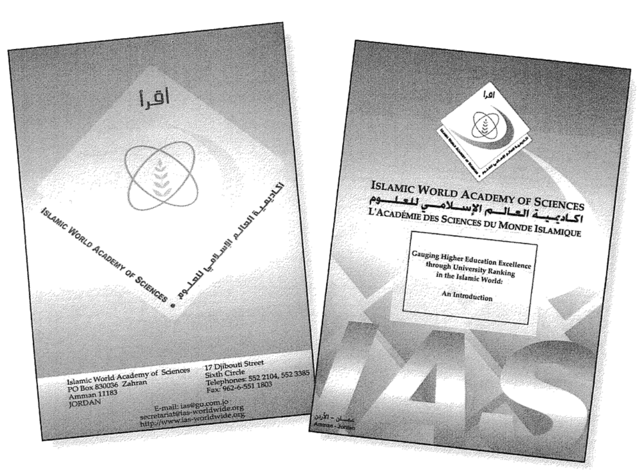
نحتفل هذه السنة بمرور خمس وعشرين سنة على إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو – ؛ ففي اليوم الثالث من شهر مايو سنة 1982 م، تمّ بفضل الله، الإعلان عن تأسيس هذه المنظمة من طرف الدول الثماني والعشرين الأعضاء في المؤتمر التأسيسي العام الذي عقد في مدينة فاس، العاصمة العلمية للمملكة المغربية، برعاية سامية من جلالة الملك الحسن الثاني، يرحمه الله ويجزل له الثواب.

كان تأسيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة تطوراً نوعياً عرفه العمل الإسلامي المشترك في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي التي كان قد مضى على تأسيسها حتى ذلك العهد، عشر سنوات. تبلورت خلالها الحاجة إلى جهاز إسلامي متخصص في شؤون التربية والعلوم والثقافة. يضطلع بمهام خدمة أهداف التنمية التربوية والعلمية والثقافية للعالم الإسلامي، بوسائل حديثة، وبخطط عمل مدروسة، وبرؤية شمولية إلى العمل، في إطار من التعاون والشراكة وتنسيق الجهود وتكاملها بين الدول الأعضاء، في هذه الميادين الحيوية ذات الأهمية البالغة. إسهاماً في بناء القاعدة المتينة للنهضة الحضارية للعالم الإسلامي، انطلاقاً من تطوير التربية والتعليم، وتحديث العلوم وتشجيع البحث العلمي، وتجديد الثقافة وتفعيل دورها في تقدم المجتمع وازدهاره.

لقد كان ميلاد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في تلك المرحلة التي تزامنت مع بزوغ فجر القرن الخامس عشر الهجري، تعبيراً وافي الدلالة عن الإرادة الإسلامية الجماعية لتقوية التضامن الإسلامي الذي هو الأساس الراسخ للعمل الإسلامي المشترك في قنواته الرسمية التي أنشئت في أعقاب مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي احتضنته المملكة المغربية في شهر سبتمبر من سنة 1969 م ....

الإيسيسكو 25 سنة من الإنجازات 7

أكاديميّةُ العالم الإسلاميّ للعلوم



هذه هي الدّراسةُ الأوّليّة التي أطلقتها أكاديميّةُ العالم الإسلاميّ للعلوم، وأجراها **مرْكزُ الدّول الإسلاميّة للإحصاءات والدّراسات الاقتصاديّة في أنقرة/تركيا** حول تصنيف الجامعات في العالم الإسلاميّ. وسيتبع ذلك دراسةٌ أُخرى تهدف إلى تعرُّف أفضل ٢٠ جامعةً في دول منظّمة المؤتمر الإسلاميّ، من أجل دعمها والأخذ بيدها للارتقاء في التّصنيف الدّوليّ.

ومن المعروف أنّه، وَفْقًا لهذا التّصنيف، لمْ تدخلْ ولو جامعة واحدة في العالم الإسلاميّ قائمة «أفضل ٥٠٠ جامعة في العالم»! ■

مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات

صدر عن المؤسسة العدد (٤٠) من نشرة البحث العلمي في العلوم الإنسانية الذي تضمن فعالياتها التي عقدت وستعقد هذا العام. وفيما يأتي بيان بهذه الفعاليات:

١- تنظيم المؤتمر التاسع عشر لمنتدى الفكر المعاصر حول تكلفة اللامغرب. وكان تنظيم هذا المؤتمر «حدثا علميا بكل المقاييس، إذ قدمت فيه ٢٢ محاضرة، وأثارت حوارا مسؤولا وعاليا اكتسى أهمية بالغة جدا في تأطير هذا الملف من خلال معالجته لكثير من الملفات المترتبة عنه. وقد ثمن الجميع مدى الشفافية والصدق والمسؤولية، والاستشراف الذكي، ونضج الاقتراحات التي تناولت عددا من النكسات الاقتصادية والسياسية والمعرفية التي أعاقت انطلاقة البناء المغربي. وإن نداء المغرب العربي الصادر عن هذا المؤتمر، الذي تم توجيهه بطلب من المؤتمرين إلى كل القيادات السياسية المغاربية العليا، قد تضمن أنضج التحاليل للواقع المغاربي اليوم، معززا ببرنامج عمل مستقبلي واقتراحات واقعية ملموسة كان [بالإمكان] إنجازها حالا لوضع قطار الاتحاد المغاربي في جدلية التنفيذ.»

٢- عقد المؤتمر الثامن لمدونة الآثار العثمانية حول:

- الهوية في الآثار العثمانية: التكوين والعناصر المؤسسة لها.
- المهندسون المعماريون العثمانيون والعرب وعلاقتهم بمركز الدولة العثمانية.
- القصور والحدائق الملوكية والهندسة العائلية للبيوت: الأساليب المحلية والتأثيرات المتبادلة.
- التحريات الجديدة حول علم المسكوكات والنقوش.

٣- صدور الأعداد ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ من **المجلة التاريخية المغاربية**. وقد صدرت هذه الأعداد في ١٢٤٠ صفحة، «وضمت ٥٢ مشاركة أكاديمية مغاربية ودولية، نشرت بالعربية أساسا، ثم بالفرنسية والإنكليزية والإسبانية، وغطت إشكاليات تاريخ المغرب العربي في العهدين الحديث والمعاصر.

وبصدور هذه الأعداد الثلاثة مجتمعة، تكون هذه الدورية قد أطفأت شمعتها الرابعة والثلاثين. وهي الآن تعد أقدم الدوريات الأكاديمية وأطولها عمرًا وانتظامًا على مستوى الوطن العربي برمته. وقد أصبحت المرجع الأول على المستوى الدولي لكل ما يتعلق بالفضاء المغاربي.»

٤- ندوة الذاكرة الوطنية مع النقابي عبد العزيز بوراوي (الحلقة الرابعة) حول: بوادر الانفراج وتفجر الأزمات النقابية ١٩٧٠ - ١٩٨٦.

٥- ندوة الذاكرة الوطنية مع سعادة السفير الحبيب نويرة حول أربعة ملفات:

- الحياة الطالبية في تونس ١٩٤٣ - ١٩٥١؛ وفي مصر ١٩٥٢ - ١٩٥٥؛ ثم الأحداث الثقافية والسياسية بتونس سنة ١٩٥٥؛ وكذلك العمل بوزارة الخارجية ١٩٥٦ - ١٩٨٦.

٦- منبر نقاش حول إنشاء كلية الطب، مع الأستاذين عمر الشاذلي وعدنان الزمرلي.

٧- منبر نقاش حول «البعثيون في تونس ١٩٦٨-١٩٨٩»، مع د. عفيف البوني وخير الدين الصوابني.

٨- ندوة الذاكرة الوطنية مع النقابي عبد العزيز بوراوي (الحلقة الخامسة).

٩- المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات الموريسكية حول التأثيرات الشرقية في الأدب الألخميادو الموريسكي: الأبعاد العقائدية والسياسية؛ ومؤسسة محاكم التفتيش إزاء ملف الموريسكيين الأندلسيين في القرنين السادس والسابع عشر بإسبانيا وأمريكا اللاتينية.

١٠- منبر نقاش حول إنشاء مدرسة المهندسين (Enit) ودور مختار العتيري في ذلك، مع شهادات الشاذلي العياري وآخرين.

١١- ندوة الذاكرة الوطنية مع الأستاذ منصور الشفي حول محاكمة النقابيين: الحبيب عاشور نموذجا.

١٢- ندوة الذاكرة الوطنية مع الأستاذ الحبيب الجنحاني حول مساره الجامعي والوطني.

١٣- المؤتمر العشرون لمنتدى الفكر المعاصر حول أبعاد الرقابة الذاتية ودور المجتمع المدني في الحراك الاجتماعي والإعلامي العربي.

١٤- ندوة الذاكرة الوطنية مع الأستاذ منصور الشفي حول علاقة بورقيبة بمهنة المحاماة.

١٥- ندوة الذاكرة الوطنية حول التداعيات الاجتماعية والاقتصادية لحرب بنزرت على البلاد التونسية.

١٦- ندوة الذاكرة الوطنية.

١٧- ندوة الذاكرة الوطنية.

١٨- المؤتمر الثالث للحوار الأكاديمي الخليجي المغاربي، الذي سيتم بالتنسيق بين دارة الملك عبد العزيز وجامعة فاس والمؤسسة، انطلاقا من المبادرة التي أخذتها كل من دارة الملك عبد العزيز بالرياض والمؤسسة بعقد المؤتمر الأول بتونس والثاني بالرياض.

١٩- المؤتمر الحادي والعشرون لمنتدى الفكر المعاصر حول دور المؤسسات العلمية والمجتمع المدني في الحوار المتعدد الثقافات والتبادل المعرفي الأورومغاربي.

٢٠- المؤتمر الثاني والعشرون لمنتدى الفكر المعاصر حول دور المجتمعات المدنية والديمقراطية والباحثين من أجل نظام جديد للمغرب العربي في القرن الحادي والعشرين. ■

-١-

د. هشام الخطيب
يُمنح جائزة الطاقة العالمية لعام ٢٠٠٧

منح مجلس الطاقة العالمي رئيس مجلس مفوضي هيئة تنظيم قطاع الكهرباء في الأردن، الدكتور هشام الخطيب، جائزة الطاقة العالمية لعام ٢٠٠٧.

وتمنح الجائزة مرة كل ثلاث سنوات لشخصية عالمية ساهمت في قطاع الطاقة العالمي وكان لها مساهمة فاعلة في مجتمعها وبلدها. وهي المرة الأولى التي تعطى الجائزة لشخصية من دول العالم الثالث.

ويتسلم الدكتور الخطيب الجائزة في شهر تشرين الثاني/نوفمبر المقبل في روما خلال انعقاد مؤتمر مجلس الطاقة العالمي لهذا العام، بعد أن تم اختياره من بين مئة شخصية عالمية رشحت لهذه الجائزة هذا العام، تقديرًا لنشاطه وجهوده المتميزة في قطاع الطاقة. ■

-٢-

أ.د. أحمد سعيد نوفل
دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي

الناشر: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات / بيروت
تأليف: أ. د. أحمد سعيد نوفل



يناقش الدكتور أحمد سعيد نوفل، أُستاذ العلوم السياسية، في هذا الكتاب المهم دور الكيان الإسرائيلي في إضعاف العالم العربي وفي تفتيته.

وهو يثبت أن نجاح المشروع الصهيوني في فلسطين واستمراره مرتبط ببقاء ما حوله من بلاد عربية ضعيفة ممزقة متخلفة، وأن قوة العرب والمسلمين ووحدتهم وتقدمهم يعني إضعاف هذا الكيان الغاصب وزواله.

يقدم المؤلف دراسته بشكل علمي موثّق، مؤكدًا أن الكيان الإسرائيلي لا يمثل خطرًا على الفلسطينيين وحدهم، وإنما يستهدف عناصر القوة والنهضة في الأمة. ومن ثَمّ فعلى العرب والمسلمين أن يتحمّلوا مسؤولياتهم في مواجهة هذا الكيان. ■

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

خمسة إصدارات جديدة عن:

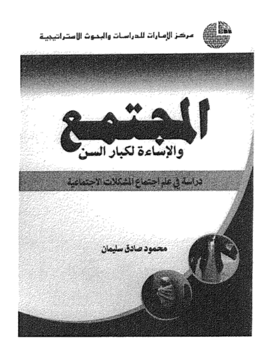
مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ـ ١ ـ

المجتمـع والإسـاءة لكبـار السـن

دراسة في علم اجتماع المشكلات الاجتماعية

تأليف: محمود صادق سليمان



يعالج هذا الكتاب ظاهرة عالمية حظيت باهتمام متأخر في المجتمعات الغربية بعد شيوعها على نحو قاس، ولم يزل حظها من الاهتمام عربيًادون المستوى المطلوب، بالرغم من تفشيها في المجتمعات العربية، متحدية ما ظلت هذه المجتمعات تتميز به من تقاليد اجتماعية وتراث ديني يحضَّان على احترام كبار السن والإحسان إليهم. وربما كان سبب ذلك أزمة التحديث التي تمر بها هذه المجتمعات، وما أحدثته من تحول لأنماط حياتها الاقتصادية والاجتماعية والقيمية.

يجمع هذا الكتاب بين الجانبين النظري والتطبيقي. فيبدأ بالوقوف على واقع المسنين في العالم، وعرض أهم النظريات التي تفسر تعرضهم للإساءة. ثم يقدم دراسة حالة لواحد من المجتمعات العربية التي تتفشى فيها هذه الظاهرة، وهو المجتمع المصري، من خلال استبيان موجَّه إلى عينة من كبار السن المسجلين في دُور رعاية المسنين، لمعرفة تفاصيل واقعهم الاجتماعي والثقافي والمادي، والظروف التي ألجأتهم إلى هذه الدور، وأنواع الإساءة التي تعرضوا لها.

وينتهي الكتاب بإصدار توصيات مهمة، أبرزها التشديد على ضرورة تجريم الإساءة لكبار السن، وتزويدهم بالمهارات السلوكية اللازمة لمواجهة من يسيئون إليهم، وتحقيق التعاون بين كبار السن والباحثين الراغبين في دراسة مشكلاتهم، وإشاعة القيم الدينية التي تحض على معاملتهم برحمة، وتشديد الرقابة والمتابعة في دور الرعاية لضمان عدم تعرضهم للإساءة في هذه المؤسسات، مع التطوير الفكري والثقافي والإنساني للقائمين بالرعاية. ■

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

-٢-

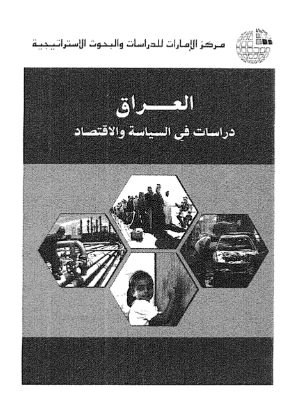
العـــراق

دراســات في السيـاســة والاقتصــاد

تأليف : أ. سيار الجميل، أ. عمرو ثابت، أ. عبد المنعم السيد علي

كان العراق يحتل أهمية كبرى عبر التاريخ. وقد ازدادت هذه الأهمية في العصر الحديث بسبب عوامل عدة، أهمها موقعه المتوسط في العالم، وتركيبته العرقية والدينية والمذهبية، وثرواته الطبيعية الهائلة، وفي مقدمتها النفط الذي يشكل عصب الاقتصاد العالمي.

يتضمن هذا الكتاب ثلاث قضايا أثرت -وما تزال- في العراق، وهي أهميته الاستراتيجية التي تنبع من موقعه الجغرافي المركزي باعتباره معبرًا بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، وقضية الاحتلال الأمريكي له، وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاهه والأهداف التي تريد تحقيقها، والوسائل التي تسعى بها إلى تنفيذ هذه السياسة. ويشكل الاقتصاد أحد الأسباب الجوهرية في كل ما حصل للعراق في العصر الحديث. فالثروة النفطية الموجودة في العراق مكنته من بناء قوة كانت السبب في تدميره فيما بعد، والأطماع الأمريكية في النفط العراقي كانت من بين الأسباب الجوهرية في غزو العراق، وإعادة بناء الاقتصاد العراقي المدمر ستؤثر في دور العراق السياسي في المستقبل.



سيبقى العراق مفتاح المرحلة القادمة نحو التغير القادم الذي سيؤدي إلى خلق شرق أوسط جديد حسب المعايير والأهداف الأمريكية إذا نجحت الولايات المتحدة في العراق، أو إلى أن تتحرر المنطقة وتبني شخصيتها من جديد وفق رؤيتها وأهدافها الخاصة إذا ما فشل المشروع الأمريكي في العراق. لذا يبقى العراق في المدى المنظور مفتاحًا لأشياء كثيرة. ■

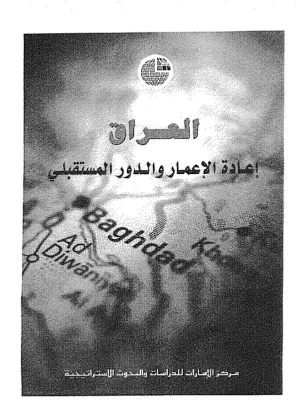
[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

-٣-

العـــــراق

إعــادة الإعمـــار والـــدور المســـتقبـــلي

تأليف: باتريك كلوسن وآخرين



تخضع معظم الأحـداث الخطيرة في التاريخ لمناظرات ساخنة، وآراء تختلف اختلافًا كبيرًا، وتقييمات متصادمة. وكحدث مهم في التاريخ الحديث، نجد أن حرب ٢٠٠٣ في العراق تستنبط مجموعة من الآراء، وتثير استفسارات كثيرة. وبينما تظل مشروعية الحرب مفتوحة أمام الأسئلة، فقد تحول الاهتمام إلى حد كبير من المناظرات في الحلبة الدولية إلى التطورات داخل العراق نفسه. ويرغب كل المعنيين بالأمر، وحتى أولئك الذين لا يعنيهم، في رؤية العراق وهو ينعم بالسلم ووحدة الأراضي، ويؤدي دوره المستحق وسط المجتمع الدولي. ومن ثم يصبح الأمن وإعادة الإعمار من أهم القضايا الجوهرية عند بحث موضوع مستقبل العراق.

في ضوء مدى أهمية سير الأوضاع في العراق، بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط والخليج العربي على نحو خاص، فقد استضاف مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سلسلة من المحاضرات وندوة متخصصة بعنوان: «العراق: إعادة الإعمار والدور المستقبلي» في أبو ظبي في الفترة ١٤-١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. وتمت دعوة المتخصصين في السياسة العراقية والتنمية والطاقة لكي يتبادلوا وجهات النظر في الحرب، والفترة الي تلتها، والسيناريوهات المحتملة بالنسبة للمستقبل.

يحتوي هذا الكتاب على مجموعة قيمة من آراء الخبراء، ويقدم رؤى استراتيجية لعدد من العوامل ذات الصلة الوثيقة بهذا الموضوع، مثل تقييم جهود إعادة الإعمار، والفصائل السياسية العراقية، والعلاقات العراقية الأمريكية، والتطورات في قطاع النفط، وأثر العراق بأغلبيته الشيعية على جيرانه، خاصة دول الخليج العربي. ■

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

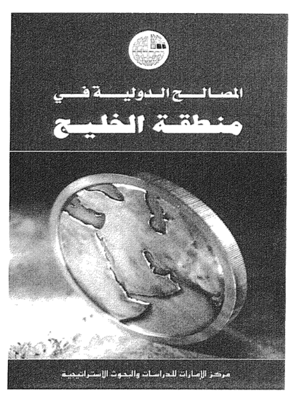
-٤-

المصالح الدولية في منطقة الخليج

تأليف: نيكولاي زلوبن وآخرون

سعت القوى الكبرى منذ أمد بعيد إلى تحقيق مصالحها الاستراتيجية في منطقة الخليج العربي، وقد زاد ارتباطها بالمنطقة منذ اكتشاف النفط فيها. وإضافة إلى ذلك تنامى الاهتمام الدولي بالمنطقة منذ الأحداث المأساوية التي وقعت في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، والهجمات الإرهابية اللاحقة المنسوبة إلى تنظيم القاعدة والجماعات المنبثقة منه. وبالنظر إلى نفوذ القوى الكبرى الخمس (الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وألمانيا، وروسيا) في الشؤون العالمية والمحافل الدولية، فإن مصالحها في منطقة الخليج العربي تعد بارزة بصورة خاصة.

لمناقشة موضوع الارتباط الدولي بمنطقة الخليج العربي، وما يتفرع عنه من قضايا أخرى، نظَّم مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ندوة بعنوان «المصالح الدولية في منطقة الخليج» في أبو ظبي خلال الفترة ١٥-١٦ آذار/مارس ٢٠٠٤. وشارك في الندوة خبراء ومتخصصون في مجال السياسة الدولية من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وروسيا.



وقدموا أوراق عمل تعرض لسياسات هذه الدول الخمس وأهدافها الاستراتيجية إزاء منطقة الخليج العربي، ومصالحها في المنطقة، التي من أهمها الأمن، والطاقة، والتجارة، والتنمية الاجتماعية، إضافة إلى الحرب على الإرهاب. والقارىء الذي ينشد تطوير فهمه للديناميات الدولية الفاعلة في هذه المنطقة، سيجد في هذا الكتاب -الذي يجمع بين دفتيه أوراق العمل المقدمة في جلسات الندوة -مصدرًا معرفيًا قيِّمًا. ■

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

-٥-

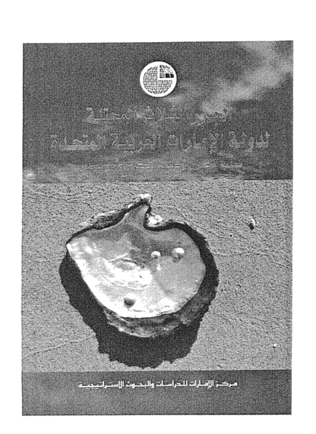
الجزر الثلاث المحتلة لدولة الإمارات العربية المتحدة

طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى

تأليف : توماس ماتير

أثارت النزاعات الحدودية التي لم تتم تسويتها التوتر بين الدول عبر التاريخ، وأدت في الغالب إلى زعزعة الاستقرار الإقليمي، وربما كانت لها تداعيات دولية. وتستحق قضية الجزر الثلاث المحتلة التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة -طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى- اهتمامًا خاصًا لأنها تهدد بزعزعة الأمن الإقليمي، ويمكن أن يكون لها انعكاسات عالمية. وفي ضوء موقع الجزر الثلاث المتحكم بخطوط الملاحة الرئيسية في الخليج العربي، وموقعها الاستراتيجي بالقرب من حقول النفط البحرية المهمة، فإن استمرار احتلال إيران لهذه الجزر الرئيسية يثير بلا شك قلقًا دوليًا.

يسلط هذا الكتاب الضوء على الحقوق القانونية والسيادية لدولة الإمارات العربية المتحدة في الجزر الثلاث، من خلال توثيق الوقائع التاريخية وتمحيص السوابق الدولية النظيرة. كما يتضمن دراسة مكثفة وشاملة مبنية على المصادر الأساسية والفرعية، وهي: سجلات الأرشيف البريطاني والأمريكي، والوثائق التاريخية الأصلية والدراسات القانونية ذات الصلة، ومذكرات الشخصيات المؤثرة، والمقابلات التي أجريت مع أهم الشخصيات المعنية، فضلاً عن تحليلات المعلقين السياسيين.



وفي إطار سياسة دولة الإمارات العربية المتحدة الرامية إلى التوصل إلى تسوية عادلة وسليمة لهذا النزاع حول قضية الجزر الثلاث المحتلة، يهدف هذا الكتاب إلى تعزيز فهم أفضل لتداخلات هذه القضية، من خلال تقديم رؤية معمقة حول الأبعاد التاريخية والسياسية والقانونية والإقليمية والدولية تفيد الأكاديميين والباحثين وصناع السياسات والقرارات المعنيين بمستقبل الأمن والاستقرار في منطقة الخليج. ■

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]

إصداران جديدان عن:

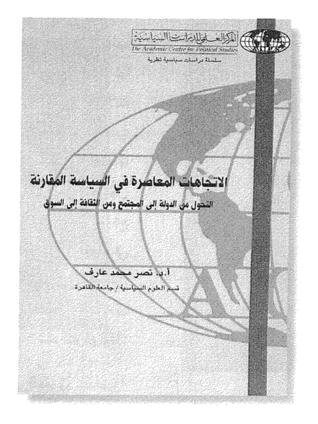
المركز العلمي للدراسات السياسية/ الأردنّ

ـ ١ ـ

الاتجاهات المعاصرة في السياسة المقارنة

التحول من الدولة إلى المجتمع ومن الثقافة إلى السوق

تأليف: أ.د. نصر محمد عارف



تأتي أهمية هذا الإصدار من افتقاد المكتبة العربية السياسية لمثل هذا النوع من الدراسات النظرية، خصوصاً أن مؤلف الدراسة الأستاذ الدكتور نصر عارف يعمل أستاذًا للسياسة المقارنة في جامعة زايد/دولة الإمارات العربية المتحدة، وله الكثير من الدراسات المتخصصة المنشورة باللغتين العربية والإنكليزية عن التنمية السياسية والنظم العربية.

تقوم الدراسة على افتراض أساسي مؤداه أن حقل السياسة المقارنة يمثل المحرك المركزي لعلم السياسة. فمن هذا الحقل وفيه خرجت وتفاعلت أهم المدارس والنظريات والأطر المعرفية في علم السياسة على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، ما جعل الباحثين فيه يشعرون بأنهم في شراك حقل معرفي يشهد تغيرًا مستمرًا في

محاور التركيز النظرية والمنهجية والمفاهيمية.

تتألف الدراسة من خمسة فصول ومقدمة وخاتمة. ويستهل المؤلف في الفصل الأول «المحددات المعرفية للتطور في حقل السياسة المقارنة» بتحديد الإشكاليات المعرفية المرتبطة بطبيعة فلسفة العلم المسيطرة في أية مرحلة من المراحل، وكذلك يربط الانتقال بين النماذج المعياري والسلوكي وما بعد السلوكي بمتوالية من التحولات على مستوى المنهج والنظرية في دراسة السياسة المقارنة.

كما يوضح المؤلف في الفصل الثاني «المحددات الواقعية للتطور في حقل السياسة المقارنة» المشكلات الواقعية التي تحدد حركة البحث في السياسة المقارنة واتجاهه، وأهمها الصراع الأيديولوجي بين المدرستين الرأسمالية والماركسية، وظهور الدول حديثة الاستقلال، وتغير طبيعة القضايا السياسية موضع الدراسة.

أما الفصل الثالث «الاتجاهات المعاصرة في البنية المنهجية لحقل السياسة المقارنة» فقد تناول التطورات المعاصرة في هذا الحقل على صعيد البنية المنهجية.

وتناول الفصل الرابع «الاتجاهات المعاصرة في البنية الموضوعية لحقل السياسة المقارنة» التطورات المعاصرة على صعيد البنية الموضوعية.

الفصل الخامس، الذي جاء بعنوان «الأجندة البحثية في حقل السياسة المقارنة عند نهاية القرن العشرين»، قدم مقاربة واقعية من خلال تحليل الموضوعات التي نشرتها مجلة السياسة المقارنة، التي تعد أهم دورية أكاديمية عالمية في هذا المجال، بهدف الخروج بدراسة تجريبية تفحص عن قرب واقع تلك الاتجاهات المعاصرة وأوزانها النسبية وجوهرها.

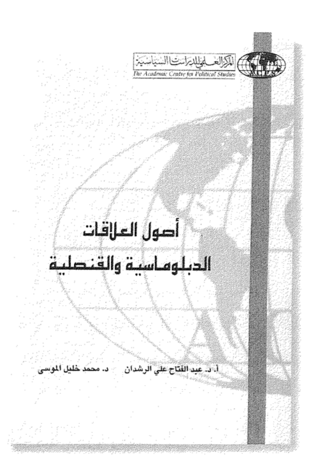
يفرد المؤلف خاتمة دراسته لمناقشة حالة الحيوية والتجديد التي يعيشها حقل السياسة المقارنة، رغم ادعاء بعض الباحثين موت هذا الحقل، لاسيما أمام انتشار موجة التنميط السياسي وفق النموذج الأنجلوسكسوني على دول العالم، إذ إن هذه الموجة مدفوعة بالقوة أكثر من سريانها بالعلم وحقائقه. ■

[من ملخص الكتاب الذي أعده الناشر (بتصرف)]

-٢-

أصول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

تأليف: أ.د. عبد الفتاح علي الرشدان
د. محمد خليل الموسى



تنبع أهمية هذا الكتاب مما تحظى به ظاهرة الدبلوماسية اليوم من أهمية بالغة، إذ ما زالت تضطلع بدور بارز في مجال العلاقات الدولية والشؤون الخارجية بأبعادها المختلفة. ولا شك أن هذا الإقبال المتزايد على إقامة العلاقات الدبلوماسية قد أدى إلى زيادة عدد البعثات وانتشارها في جميع أنحاء العالم، وزيادة عدد العاملين في هذه البعثات.

وقد جاء الكتاب في محاولة لمعالجة جميع الموضوعات والقضايا المتعلقة بالدبلوماسية، حيث ناقش مفهوم

الدبلوماسية ونشأتها وتطورها التاريخي، وتناول الدبلوماسية في العصر الحديث والمعاصر، ثم انتقل إلى أشكال العمل الدبلوماسي ونظام التبادل الدبلوماسي، مرورًا بالعلاقات القنصلية والحصانات والامتيازات الدبلوماسية، وانتهاءً بالاتجاهات والتطورات الجديدة في الدبلوماسية المعاصرة. كما تناول تأثر الدبلوماسية بالاتصالات الحديثة وثورة المعلومات، وظاهرة دبلوماسية التنمية، وعلاقة الدبلوماسية بالأمن القومي والبعد الديني والحضاري. ومع تطور ظاهرة المنظمات غير الحكومية، تطور ما يسمى بالدبلوماسية غير الرسمية، إضافة إلى أن الدبلوماسية المعاصرة باتت أداة في رسم معالم نظام دولي تجاري، كما أن موضوعات، مثل البيئة وحقوق الإنسان، التي أصبحت ذات أولوية في الاهتمامات الدولية المعاصرة، حازت على قدر كبير من خصوصية التعامل، فكان لابد من دبلوماسية فريدة وغير تقليدية خاصة بها.

لقد سلط الكتاب الضوء على الأهمية التي أخذت الدبلوماسية تحظى بها في مجال تدعيم العلاقات بين الأمم والشعوب. فالدبلوماسية بأبعادها المختلفة أصبحت وسيلة لتنظيم الحياة الدولية، وليس فقط أداة لانفتاح الدول على بعضها بعضًا. وباتت «الدبلوماسية» ظاهرة معقدة، ولم تعد بالبساطة التي كانت عليها قبل قرنين من الزمان. لهذا فإن مجمل الأفكار والتحليلات التي تضمنها الكتاب تدعو إلى مراجعة موضوعية واستشراقية للمنظومة المعيارية الناظمة لها اليوم.

واختتم الكتاب موضوعه بالتساؤل حول مستقبل الدبلوماسية في إطار النظام الدولي الراهن الموصوف بالمعولم، حيث أن التغيرات التي تنتاب المشهد الدولي ليس سهلاً تقويم آثارها وتجلياتها. ■

[من ملخص الكتاب الذي أعده الناشر (بتصرف طفيف)]

كتابان جديدان

أ. د. رياض عزيز هادي

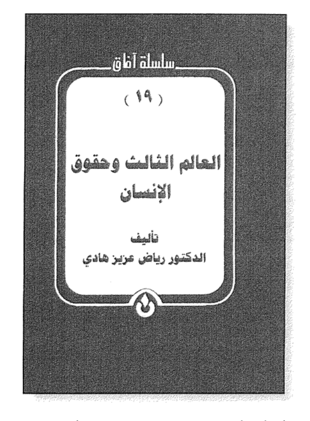
-١-

العالم الثالث وحقوق الإنسان

تتناول هذه الدراسة تتبع قضايا حقوق الإنسان بالنسبة لشعوب العالم الثالث ودوله، وتحليل أبعادها ونتائجها. ففي الفصل الأول تناولنا مختلف جوانب حركة حقوق الإنسان المعاصرة، وموقف دول العالم الثالث منها، خاصة دورها وموقعها في هذه الحركة التي تكتسب يومًا بعد آخر أهمية عالمية متزايدة.

وفي الفصل الثاني تم التأكيد على انعكاسات الوضع الدولي الراهن والمتغيرات الدولية الجديدة على مسألة حقوق الإنسان والعالم الثالث في آن معًا. فتم تناول حقوق الإنسان بوصفها سلاحًا فعالاً، فضلاً عن ازدواجية التعامل بها تجاه العالم الثالث من خلال مسألة التدخل الإنساني، وفي إطار موجة العولمة التي تجتاح العالم.

أما الفصل الثالث فقد تناولنا فيه ظاهرة العنف: مفهومها، وأشكالها، وأسبابها، والعلاقة بين هذه الظاهرة، التي يعاني منها الكثير من مجتمعات العالم الثالث، وبين التمتع بحقوق الإنسان أو الحرمان منها، وكذلك الوسائل الكفيلة بإنهاء العنف، وبضمنها حقوق الإنسان.



ولقد ارتأينا أن نرفق بالدراسة ملاحق أربعة هي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وإعلان الحق في التنمية، والميثاق العربي لحقوق الإنسان، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، لما لهذه الوثائق من أهمية بالنسبة للقارىء المعني بقضايا حقوق الإنسان والعالم الثالث. آملين أن تقدم هذه الدراسة خدمة لقضايا حقوق الإنسان من خلال نشر الوعي بها، والتعريف بآثارها وانعكاساتها في المرحلة الراهنة. ■

[من مقدمة المؤلف (بتصرف طفيف)]

-٢-

حقوق الإنسان

تطورها؛ مضامينها؛ حمايتها

يهدف هذا الكتاب إلى تعريف شامل ومركز بحقوق الإنسان، ابتداءً من جذور نشأتها، والتطورات التي شهدتها هذه الحقوق الإنسانية عبر العصور والمجتمعات البشرية، وإسهام الشرائع السماوية والأديان والحضارات في رفدها بالقيم والمثل، مرورًا بمختلف العصور الوسيطة والحديثة والمعاصرة، متناولين المدارس والمذاهب السياسية والفكرية والثورات، مع التركيز على الاعتراف بحقوق الإنسان في تاريخنا المعاصر. وتناولنا الاعتراف الدولي بهذه الحقوق من المنظمات الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، ثم الاعتراف الإقليمي في مختلف بقاع العالم، الذي تجسد بإصدار اتفاقيات ومواثيق إقليمية، فضلاً عن انضمام دول العالم لمواثيق حقوق الإنسان العالمية والإقليمية واتفاقياتها. ثم درسنا ظهور المنظمات غير الحكومية المعنية بحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني، وأهداف تلك المنظمات، ووسائل عملها، ودورها في تطور احترام حقوق الإنسان وحمايتها. وكرسنا الفصل الأول لما تقدم ذكره.

حقوق الانسان
(تطورها . مضامينها . حمايتها)
الاستاذ الدكتور
رياض عزيز هادي
كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد
بغداد ٢٠٠٦

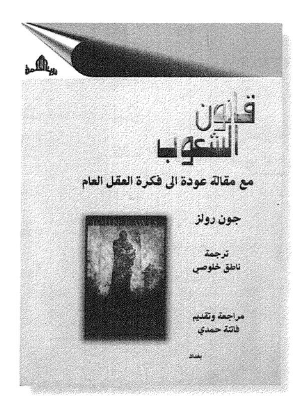
أما الفصل الثاني فقد تركز على التعريف بمضامين حقوق الإنسان، سواء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو في أهم المواثيق الدولية، فضلاً عن التعريف بتلك المضامين ومقارنتها بالمواثيق الإقليمية والتشريعات الوطنية. كما تناول هذا الفصل أنواع حقوق الإنسان الفردية والجماعية، وأجيالها الثلاثة، والنظرة إلى حقوق الإنسان ككل لا يتجزأ. ■

[من من مقدمة المؤلف (بتصرف طفيف)]

قانون الشعوب

مع مقالة عودة إلى فكرة العقل العام

تأليف: جون رولز؛ ترجمة: ناطق خلوصي؛ مراجعة وتقديم: فاتنة حمدي



يمثل كتاب جون رولز **قانون الشعوب** محاولة لتحديد معالم قانون يحكم العلاقات بين الشعوب الليبرالية وسواها من الشعوب غير الليبرالية، وبالتحديد الشعوب التي يطلق عليها رولز تسمية الشعوب المقبولة ويختار نموذجًا لها شعبًا افتراضيًا في دولة يسميها كازنستان. ويتناول الكاتب أصنافا أخرى من الشعوب، مثل الشعوب الخارجة عن القانون وأصناف أخرى ثانوية. ويحاول تعميم نظريته في العدالة بين الأفراد في المجتمع، التي طرحها في أحد كتبه المبكرة **نظرية في العدالة**، على المجتمع الدولي ليجعلها ممكنة التطبيق على الشعوب، ويبين شروط إمكانية مثل هذه العلاقة بين الليبرالية والآخر. يتناول الكتاب موضوعات أخرى مهمة، مثل الحرب العادلة، والهجرة، وغيرها. ■

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب (بتصرف طفيف)]


JUDAISM
د. محمود إسماعيل
الفكر الإسلامي الحديث
بين السلفيين والمجددين
الحريات الأكاديمية والابداع
دراسة نظرية وتطبيقية
في ضوء التجارب العراقية والعربية والعالمية
أ.د. عبدالسلام ابراهيم بغدادي
استاذ العلوم السياسية
جامعة بغداد. مركز الدراسات الدولية
2006
مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان

مجلّة
شؤون الأوسط

العدد ١٢٥؛ ربيع ٢٠٠٧



صدر عن مركز الدراسات الإستراتيجية (بيروت) العدد ١٢٥ من فصلية **شؤون الأوسط** (ربيع ٢٠٠٧). كتب **الافتتاحية** رئيس التحرير حول الأولويات والتحديات التي تواجه العالم العربي. وكتب سيد حسين موسوي عن العلاقات السعودية الإيرانية كنموذج للتعاون الإقليمي.

وشارك في **ندوة العدد** حول «المسلمون ومواجهة الفتنة»، كل من الشيخ إبراهيم المصري، والشيخ مرسل نصر، والشيخ شفيق جرادي، والأستاذ محمد السماك، والدكتور وجيه قانصو.

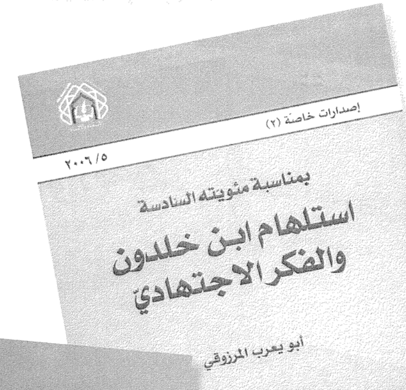
وتمحور **ملف العدد** حول «تجديد الخطاب الديني»، وشارك فيه بنصوص كلّ من: عبد الله النعيم، ونصر حامد أبو زيد، وراشد الغنّوشي، وهاني فحص، وحميد رضا آيت اللهي، ورضوان زيادة.

حوار العدد أجراه محمد نور الدين ووليد عربيد مع المؤرخ الفرنسي جاك طوبي حول تركيا في محيطها الشرق أوسطي والأوروبي.

وفي باب **دراسات ومقالات**، كتب محمد خواجه عن «خلاصات حرب لبنان واستراتيجيات الصراع»، وقرأ أحمد أبو هدبة في تقارير إسرائيلية، وكتب ميشال يمين حول «من يدفع الولايات المتحدة إلى مهاجمة إيران؟»، ورواء زكي الطويل حول «دور الاتحاد الأوروبي في صنع القرار التركي».

وفي باب **تقارير ووثائق**: وثيقة القمة العربية في الرياض، ووثيقة اجتماع إسلام أباد السباعي، ووثيقة قرار مجلس الأمن ١٧٤٧ والعقوبات على إيران. ■

من إصدارات المنتدى الجديدة

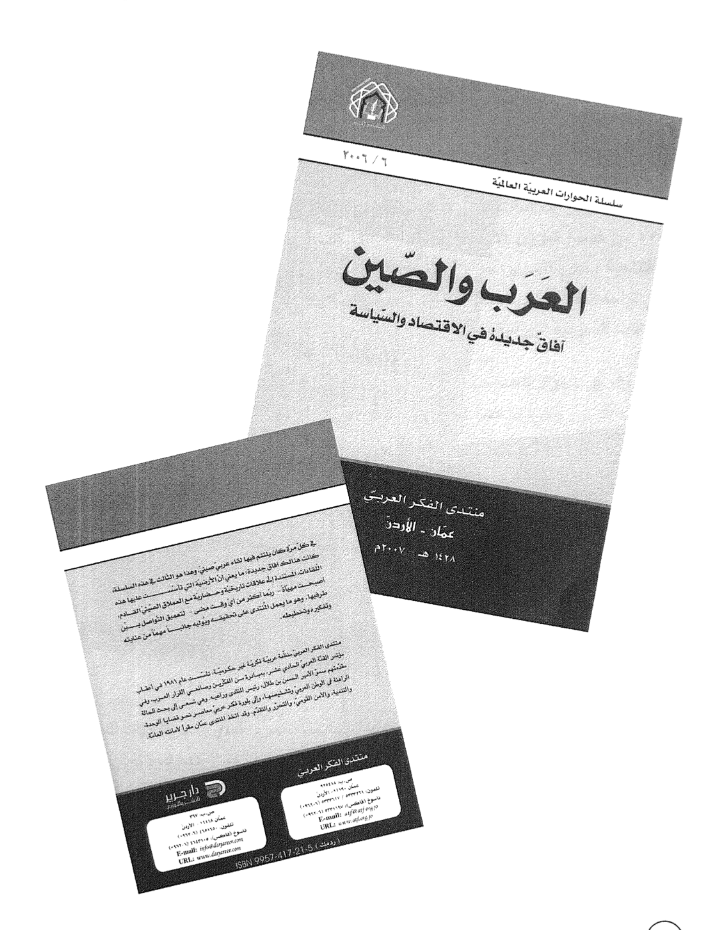


ماذا نستلهم من ابن خلدون في مئويته السادسة؟ أعماله الفكرية أم أفعاله السياسية؟ وما دوافع هذا الاستلهام؟ هل هي نقائص أفكارنا أم تعثّر سيرنا؟ وكيف نخرج من التناقض المزعوم في شخصية الرّجل؟ هل نقتصر على الاستلهام المعرفي (نظريات ابن خلدون العمرانية والتاريخية) ونعرض عن الاستلهام العمليّ (أعمال ابن خلدون السياسية والخلقية)؟

المؤلف

منتدى الفكر العربيّ منظّمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة، تأسّست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر، بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدّمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه. وهي تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى بلورة فكر عربيّ معاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القوميّ، والتحرّر والتقدّم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقرّاً لأمانته العامّة.




٦ / ٢٠٠٦
سلسلة الحوارات العربيّة العالميّة
العَرَب والصّين
آفاقٌ جديدةٌ في الاقتصاد والسّياسة
منتدى الفكر العربيّ
عمّان - الأردنّ
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م
في كل مرّة كان يلتئم فيها لقاء عربيّ صينيّ، وهذا هو الثالث في هذه السلسلة، كانت هنالك آفاق جديدة: ما يعني أنّ الأرضيّة التي تأسّست عليها هذه اللقاءات، المستندة إلى علاقات تاريخيّة وحضاريّة مع العملاق الصينيّ القادم، أصبحت مهيّأة - ربما أكثر من أيّ وقت مضى - لتعميق التّواصل بين طرفيها، وهو ما يعمل المُنتدى على تحقيقه ويُوليه جانباً مهماً من عنايته وتفكيره وتخطيطه.
منتدى الفكر العربيّ منظّمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة، تأسّست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر، بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدّمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه. وهي تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى بلورة فكر عربيّ معاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القوميّ، والتحرّر والتقدّم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامّة.
منتدى الفكر العربيّ
E-mail: atf@atf.org.jo
URL: www.atf.org.jo
دار جرير
E-mail: info@daryareer.com
URL: www.daryareer.com
ISBN 9957-417-21-5 (ردمك)

٢٠٠٦/٧

سلسلة اللقاءات الشهريّة (٣)

بين الأقلمة والعولمة

آراء واجتهادات وحوارات في عالم مضطرب

منتدى الفكر العربيّ

عمّان - الأردنّ

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

يشتملُ هذا الكتاب على مساهمات فكرية مختلفة ضمن موضوع (الأقلمة والعولمة)، وهي مستقاة من اللّقاءات الشهريّة التي عقدها منتدى الفكر العربيّ خلال عام ٢٠٠٥.

منتدى الفكر العربيّ منظّمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة، تأسّست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر، بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدّمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى وراعيه. وهي تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى بلورة فكر عربيّ معاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القوميّ، والتحرّر والتقدّم. وقد اتّخذ المنتدى عمّان مقرّاً لأمانته العامّة.

منتدى الفكر العربيّ

ص.ب: ٩٢٥٤١٨
عمّان ١١١٩٠ - الأردنّ
تلفون: ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧
ناسوخ (فاكس): ٥٣٣١١٩٧ (٠٩٦٢-٦)
E-mail: atf@atf.org.jo
URL: www.atf.org.jo

دار جرير للنشر والتوزيع

ص.ب: ٣٦٧
عمّان ١١١١٨ - الأردنّ
تلفون: ٤٦٥١٦٥٠ (٠٩٦٢-٦)
ناسوخ (فاكس): ٤٦٤٣١٠٥ (٠٩٦٢-٦)
E-mail: info@darjareer.com
URL: www.darjareer.com

ISBN 9957-417-19-2 (ردمك)

السيّد ناصر جمال عبد القادر

حفل وداع

أقامت أسرة الأمانة العامة للمنتدى حفل وداع على شرف السيّد **ناصر جمال عبد القادر** الذي عمل في المنتدى مخرجًا فنيًا للمطبوعات (٢١ / ٩ / ٢٠٠٣ ولغاية ٣١ / ٧ / ٢٠٠٧)، وقدّمت له درعًا خاصًا بهذه المناسبة. نتمنّى له دوام النّجاح والتوفيق.



كُتّاب هذا العدد

ألفبائيًا

أ. د. حميد الجميلي
عضو المنتدى؛ أستاذ الاقتصاد والعلاقات الاقتصاديّة الدوليّة
أكاديميّة الدراسات العليا – طرابلس؛ ليبيا
فاكس: ٣٣٣٧٧٨٧ (٢١-٢١٨+)
hameed_aljumaili@yahoo.com

م.ة. سوسن جبر أيوب خليل
رئيسة مركز تقارب الثقافات والترجمة
في القاهرة (CIDT)

د. عصام ملكاوي
عضو المنتدى؛ باحث استراتيجي في مركز الدراسات الاستراتيجية/أكاديمية الملك عبد الله الثاني للدراسات الدفاعية؛ محاضر غير متفرغ في قسم العلوم السياسية/الجامعة الأردنية
خلوي: ٧٤١١٩١٩ (٧٧ ٩٦٢+)

دة. فريال العلي
أكاديميّة وكاتبة أردنيّة/
سكرتيرة تحرير مجلة "**جرش الثّقافيَة**"؛
جـامعة جــرش الأهلية – الأردنّ

أ. كمال القيسي
عضو المنتدى؛ مستشار وخبير في الطاقة والنفط – عمّان
خلوي: ٦٤٤٦٠٨٥ (٧٩ ٩٦٢+)
k_kaisi@wanadoo.jo

أ. كورنيليس هولسمان
مدير مركز تقارب الثقافات والترجمة
في القاهرة ورئيس تحرير تقارير العرب والغرب
هاتف: ٣٥٩٨٠٨٧ (٢٠٢+)
www.cawu.com

أ. يوسف عبد الله محمود
كاتب صحافي في جريدة **الرأي** – عمّان
هاتف: ٥١٥٥٠٥٠ (٦ ٩٦٢+)

أخبار المنتدى ونشاطاته



● **السيد الصادق المهدي ينضم لعضوية «المنتدى»**

انضم السيد **الصادق المهدي رئيس وزراء السودان** لعضوية المنتدى والجدير بالذكر ان السيد الصادق قد شكل أول وزارة ديموقراطية منتخبة في السودان في شهر أيار - مايو الماضي، بعد الانتفاضة الشعبية التي انهت نظام الرئيس نميري في نيسان - ابريل ١٩٨٥. وهذه هي المرة الثانية التي يتقلد فيها رئاسة وزراء السودان. كانت المرة الأولى في أيار - مايو ١٩٦٦، وكان في الثلاثين من عمره أنذاك. الصادق المهدي تخرج من جامعة اوكسفورد بدرجة الشرف (١٩٥٧) في الاقتصاد والفلسفة والسياسة. وله العديد من الكتب والمقالات بالعربية والانجليزية، من احدثها كتابه بعنوان «**العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الاسلامي**». اعتقل وسجن عدة مرات خلال الحكم العسكري في السودان (١٩٦٩ - ١٩٨٥). وسمو رئيس المنتدى وبقية أعضائه يرحبون بالسيد الصادق المهدي ويعتزون بانضمامه اليهم.

● **الوجود الاسلامي في أوروبا**

عقدت جامعة ستوكهولم بالسويد مؤتمراً كبيراً في الفترة من ٢ الى ٦/٦/١٩٨٦ تحت عنوان «**الوجود الاسلامي في أوروبا**». وقد دعي المنتدى لحضور المؤتمر الذي قدم فيه عشرون ورقة وبحثاً عن الاسلام والجاليات الاسلامية في أوروبا. كما شارك في أعماله حوالي مائة من المفكرين والمسئولين الأوروبيين والمسلمين. ونوقشت مشكلات المسلمين في دول أوروبا الغربية (حوالي ٦ مليون مسلم)، وخاصة تلك المتعلقة بالعمالة المهاجرة واللاجئين السياسيين. كما تعرض المؤتمر بصراحة واستفاضة لموجة التعصب والاضطهاد التي بدأ المسلمون يواجهونها في السنوات الأخيرة نتيجة الانكماش الاقتصادي والبطالة في دول أوروبا الغربية. كما بحث المؤتمرون آليات ووسائل مواجهة هذه المشكلات. القى د. سعد الدين ابراهيم، أمين عام المنتدى، الخطاب الختامي للمؤتمر.

● **حرب الخليج واحتمالات التسوية**

شارك عدد من أعضاء المنتدى في أعمال ندوة «**حرب الخليج واحتمالات تسوية الصراع العراقي - الايراني**» التي عقدها في عمان **المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية** (لندن) **ومركز الدراسات الاستراتيجية** بالجامعة الأردنية (١٦ - ١٩/٦/١٩٨٦). القى سمو رئيس المنتدى خطاب الافتتاح (منشور في موضع آخر من هذا العدد). ناقشت الندوة الموضوعات التالية :

١. حرب الخليج من المنظور العراقي.
٢. حرب الخليج من المنظور الايراني.
٣. أبعاد حرب الخليج على المنطقة العربية.
٤. أبعاد حرب الخليج على المجتمع الدولي.
٥. حرب الخليج والموقف الاميركي.
٦. حرب الخليج والموقف السوفياتي.
٧. وسائل إنهاء الحرب.

شارك من أعضاء المنتدى كل من: د. عبد السلام المجالي، ود. عدنان بدران، ود. جواد العناني، ود. علي الدين هلال، ود. سعد الدين ابراهيم، ود. فهد الفانك.

● **الاديان والحروب**

دعا التلفزيون الأسكتلندي أمين عام المنتدى للاشتراك في برنامج تلفزيوني عن **الأديان والحرب**، يستغرق خمس ساعات تذاع على حلقات متتالية. يتعرض البرنامج لموقف الأديان العالمية الكبرى من مسألة الحرب واستخدام العنف. ويشارك في البرنامج ممثلون للاسلام والمسيحية واليهودية والهندوكسية والبوذية، تم تسجيل البرنامج في جلاسجو يوم ٢٠/٦/١٩٨٦.

● **القيم الانسانية في عالم التكنولوجيا المتصاعدة**

نظم اليونسكو ونادي روما ندوة مشتركة في باريس (٢٤ - ٢٧/٦/١٩٨٦) بعنوان **القيم الانسانية في عالم التكنولوجيا الحديثة والمتسارعة**، شارك في أعمال الندوة نيابة عن المنتدى د. سعد الدين ابراهيم، كما شارك فيها ثلاثون مفكراً من مختلف دول العالم.

● **تحية الى الأصدقاء الجدد**

تلقى المنتدى رسائل من السادة الآتية أسماؤهم يعلن أصحابها صداقاتهم للمنتدى، مع تبرعات كريمة لدعم انشطة المنتدى :

السيد جميل امين وفا - البحرين
السيد طالب الطاهر - الكويت
الدكتور سميح مسعود - الكويت
والمنتدى اذ يشكرهم فانه يعتز بصداقتهم

● **صدر اخيراً عن المنتدى**

تقرر عرض مطبوعات "المنتدى" التالية في المكتبات لبيعها للجمهور بأثمان معتدلة، ويمكن طلب هذه الكتب من "المنتدى" مباشرة.

١ - تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب.
٢ - تجربة مجلس التعاون الخليجي خطوة أم عقبة في طريق الوحدة.
٣ - القمر الصناعي العربي بين مشكلات الأرض وامكانيات الفضاء.
٤ - التكنولوجيا المتقدمة وفرصة العرب للدخول في مضمارها.
٥ - العائدون من حقول النفط.

يعرض كل واحد من هذه الكتب وقائع احدى ندوات منتدى الفكر العربي ويشمل أوراق العمل الرئيسية والتعقيبات والمناقشات.

ثمن النسخة الواحدة ديناران أردنيان.

* أنظر (ص٤) من هذا العدد من **المنتدى**.

بريد الأعضاء والأصدقاء

تلقى الدكتور سعد الدين ابراهيم، الأمين العام لمنتدى الفكر العربي فيضاً من رسائل الاعضاء والأصدقاء فيما يلي مقتطفات من بعضها :

● أشكركم خالص الشكر على رسالتكم المؤرخة ١٥/٥/١٩٨٦، وعلى تفضلكم بتزويدي بنسخة من توصيات ندوة "التعاون العربي في مجال العمالة واستخدامها".

ولا بد لي بهذه المناسبة من الاشادة بالدور الإيجابي والهام الذي يقوم به منتدى الفكر العربي في مجال الدراسات والأبحاث والحوارات حول المشاكل التي يعاني منها وطننا العربي والتحديات التي يواجهها. وأغدو ممتنا لو تكرمتم بموافاتي بشكل منتظم بنتائج تلك الدراسات والحوارات.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،،

عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام ـ دولة قطر

● سررت بانشاء "منتدى الفكر العربي" وأتمنى للمنتدى ولكم كلّ تقدم ونجاح. لقد قرأت بعناية أهدافه واسترعى انتباهي بصورة خاصة، البند الأول المتعلق ببلورة الفكر العربي المعاصر وتطويره ولا سيما ما يتصل منه بالوحدة العربية، وهذا ما أرجعني الى حوالي ربع قرن، الى أيام الجامعة الأميركية عندما كنت عضواً في جمعية "العروة الوثقى" التي كانت تدعو الى نفس الأهداف القومية. ويحز في نفسي اليوم، وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً على أن أرى الغرائز لا تزال تتحكم بصانعي القرار وأن التضحية شبه مفقودة لدى الأكثرية التي تدعو الى العمل القومي، أنني أؤمن بأن هذين العاملين هما وراء التدهور العربي المستمر وهما الحائل أمام أيّ عمل وحدوي منظم.

ارسل اليكم بعض أعداد مجلتنا المتواضعة مجلة "تاريخ العرب والعالم" وهي مجلة عربية مستقلة تسعى بتواضع وضمن امكانياتها المادية المتواضعة ان تنشر التراث العربي والإسلامي، والمهمة ليست سهلة على الاطلاق وخصوصاً بعد أكثر من عشر سنوات من الحرب القاسية التي بدأت تضغط على جميع المؤسسات الثقافية.

فاروق البرير
رئيس تحرير تاريخ العرب والعالم
بيروت ـ لبنان

يسعدني أن أقدم تحياتي وتقديري وإعجابي بما تقدمه "المنتدى" وأشير بشكل خاص الى الحوار العربي الأمريكي المفيد الذي نشر في العدد الخامس من هذه النشرة القيمة، اكرر الشكر لمحرر النشرة وللأمين العام للمنتدى عن هذا الانجاز القيم والممتاز.

الدكتور كايد عبدالحق
الكلية العربية ـ عمّان

● تحياتي الخالصة وتمنياتي الطيبة لكم وكل عام وانتم بخير.. سعدت بلقائكم والزملاء في المنتدى وإذ أهنئكم بالمجهود العظيم الذي تبذلونه في جمع نخبة من المفكرين العرب لمناقشة القضايا الحيوية التي تهم المواطن العربي، أود أن أحيي بكل التقدير والاعزاز سمو الأمير الحسن على قيادته لهذا العمل القومي البناء شاكراً لكم حسن الضيافة وداعياً الله ان يوفقكم لما فيه الخير على الدوام.

دكتور عبدالعزيز حجازي
القاهرة

ارجو أن توافونا بمطبوعات المنتدى القيمة سواء بالعربية او الانجليزية لكي نضعها في المكتبة الصغيرة الخاصة بطلبة الدراسات العليا عندنا مع جزيل الشكر.

نزيه ايوبي
جامعة اكزتير ـ قسم العلوم السياسية
بريطانيا

● يسرني أن اعلمكم بانني اتسلم بانتظام المطبوعة المختصرة حول نشاطاتكم المتنوعة والثرية في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والاجتماعية.

ولا يسعني في هذا الباب الا ان أبدي اعجابي وتقديري لمجهوداتكم الجبارة في خدمة القضايا القومية الكبرى للوطن العربي بدون صخب زائف وبكل موضوعية.

كما انني متحسس جداً ومهتم كثيراً ببعض الموضوعات المقترحة في اطار الحوارات العربية في موسم النشاط القادم وعلى وجه التحديد:

- التعليم في الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين.
- الصحوة الاسلامية والقومية العربية
- الشباب العربي وامراض العصر.

وتقبلوا اسمى معاني التقدير واخلص مشاعر الود والتمنيات.

د. محمد بشوش
مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية
الجامعة التونسية ـ تونس

بلغت القلوب الحناجر ... !

أ. كمال القيسي*

في عصر العولمة وحقوق الإنسان والحفاظ على البيئة،أوحت آلهة الحرب والظلمات إلى «أنبيائها» غزو العراق واحتلاله وتدميره. أطبقت أعاصير الدمار على الناس قبل الحجارة، وأطلق مردة الهيمنة وحوش العصور الغابرة وديدانها لتقيم طقوسها في احتفالات من القتل الجماعي الذي لا يفرق بين براءة الأطفال، ودموع النساء، وعجز الشيوخ. أقيمت مهرجانات قتل وتعذيب واغتصاب في البيوت الآمنة و السجون. هُتكت أعراض الرجال والأطفال قبل النساء، وضاعت صرخات استغاثتهم في بهيم من ليل ونهار حرس أبوابه تجار الأعراض الوطنية وأوصياء «مغتصب الأمة». دُمرت المكتبات والمتاحف والجامعات والمدارس، وقتل العلماء والمفكرون والأطباء والمهندسون والفنانون والأدباء، بغية أن لا يكون لعراق الظلام الجديد منابر علم أو معرفة تنشئ صرحا إنسانيا. صُنِّف الناس كالعبيد، وأُمِّر عليهم «مماليك وخصايا» حكموا بما لم يَرِد في مسلة «حمو رابي»، ولا بما جاء به موسى وعيسى ومحمد. أطبقوا على بيوت الناس من المستضعفين، فنهبوها وسيطروا عليها عنوة، وأخرجوا أهلها أذلة إلى التيه . فمنهم من ارتحل عن بيته واحتمى بجيران غرباء جدد من الملة والعشير، ومنهم من دفعه رُعب نفسه إلى النزوح، وهاجر كالطيور التي أضاعت صغارها في الطريق. دفع الرعب واليأس آلافاً من العراقيين إلى ترك مساكن عزهم وأحلامهم، واللجوء إلى ذل الغربة والاغتراب في الشتات. تناثر عقدهم على أرض اللجوء، وانطوى كل واحد منهم على آلام خوفه من قسوة الزمن المجهول وتعاظُم بُعد طريق العودة إلى الوطن. سكارى بأحزان الوطن، قلوبهم معلقة بمن تخلّف من الأهل، دموعهم جارية تروي مشاهد أبطال ضَعفاء، قتلتهم ومزقت أشلاءهم وحوش تعتاش على دم الإنسان وحرماته. وبين هذا وذاك، بدأ صراخ تساؤل صامت في الغربة بين بعض التائهين: هل يخطط «المحتل وخدمه» سلخَ هويتنا نحن العراقيين واستبدالَها بهوية «لاجئين» ؟؟ أصحيح ما سمعناه؟ هل هي مؤامرة جديدة، أم فتوى أمريكية لقبر المناضلين الرافضين للاحتلال الأجنبي وخططه ؟ هل سنتحول إلى متسكعين على أبواب ملاجئ اليتم الوطني؟هل سينكرنا أهلنا لرفضنا التعاون مع المحتل وأن نكون أضحيات طقوس أعياد بربرية؟ هل سيتسنى لنا زيارة حارات منازلنا؟ هل أصبحنا غرباء على السليمانية والموصل وبغداد والبصرة؟ أم أصبح الرافدان ونخيلهما غرباء علينا؟

ماذا يحدث؟ وما الذي يدور؟ هل سنكون الفلسطينيين الجدد أم العنزة السوداء لكوننا دافعنا عن كرامة أمتنا؟ هل أهلنا نيام؟ أم إن ذلتهم أرهقتهم فتظاهروا بالنوم؟ لماذا لا صوت لنادب، ولا لكلب ينبح، فيوقظ النيام؟ أرادوا لهم النوم فناموا، وأرادوا لهم الخدر فغابوا. أعطي البعض منهم أدوارا كدور «شايلوك» المقرض اليهودي في تاجر البندقية لشيكسبير(المال مقابل اللحم البشري). استغلوا حاجة المطاردين والمشردين، فوجهوا الأموال لاحتواء إنسانية القوى المناهضة للاحتلال وتغييبها من خلال شرذمتها إلى جماعات وأحزاب لا تعرف كيف تصل لما تريد. دفعوا الكثير من رجالاتها إلى الطواف حول قلاع «التآمر والتنسيق» تطرق أبواب شيوخها من أجل أموال خائبة في تجارة خاسرة. نصبوا لهم الفخاخ، ونجحوا في تحويلهم إلى أصحاب مشروعات تنمية خاصة ترفض التوظيف والاندماج من أجل توحيد الشعب، وإيقاف نزيفه الدموي، وتحرير العراق من آلهة الحرب والظلمات. نجحوا في جعل البعض منهم «رموزًا وطنية» متاجرة لا تعرف الحرام ولا الحياء.

تآمروا علينا، وأسقطونا في قاع جب قراره ظلم غاشم جائر، ويأس لا يعرف الصبر والأمل. عقولنا حائرة، وقلوبنا مصلوبة، وإرادتنا ضعيفة غائبة،وحناجرنا مقطوعة، ودماؤنا مهدورة. ندور في صحارى غريبة نروي لأهلها قصص حبنا للعراق وكرم أهله. وفي كل يوم ننتظر ورود العير لكي يقصوا علينا قصص أبطال لم نعرفهم، رفضوا الهروب، يقاتلون من أجل كرامة وحدة العراق وعزة أهله من المستضعفين والمساكين. إن ألم الظلم والذل والهوان يسحقنا كل ساعة ويوم. لم يبقَ لنا إلا أنت، الموجد، العارف، المحيط. سنجأر باسمك،وستهز دموع ظلمنا معاقد عرشك. عندها ستريهم جهنمَ غضبك ويومَ قيامتك. ■

* مستشار وخبير في الطاقة والنفط؛ عضو المنتدى.

قسيمة اشتراك
في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في :
☐ مجلّة المنتدى
☐ مجلّة المنتدى + الإصدارات السّنويّة (الكتب)

الاسـم : ....

العنوان : ....

....

....

قيمة الاشتراك*: .... طريقة الدفع : ☐ نقداً ....

رقم الـ CVV2 : ....

بطاقة فيزا رقم : .... تاريخ انتهاء مدتها : ....

حوالة بنكية (صافي القيمة) ....

رقم الحساب : 0118/001769 - 8/610 (البنك العربي، فرع الشميساني؛ عمّان، الأردنّ)

التوقيع : ....

التاريخ : ....

تُملأ هذه القسيمةُ وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي :
منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)
عمّان ١١١٩٠؛ الأردنّ

*قيمة الاشتراك السنوي		المجلة	المجلة + الكتب
	داخل الأردن	للأفراد : (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	للأفراد : (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دينار أردني
	خارج الأردن	للأفراد : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دولار أمريكي	للأفراد : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي

